

الملك

مجلة

المجلد الرابع عشر
الجزء الرابع



إهداء من

طبعة دار الوفاء
للطباعة والنشر

تابعوا ...



WWW.ALUKAH.NET

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي
خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الأبواب

المعراج
١٣١٥

في شهر عبادي الدين يستمعون القول فينبهون أحيائه
أولئك الذين هدى الله فاولئك هم أولو الأبواب

قال عليه الصلاة والسلام : إن للسلام صوي و ه مناوا ه كناو الطارق ه

(مصر - السبت ٣٠ ربيع الآخر ١٣٢٩ - ٢٩ أبريل (نيسان) سنة ١٢٨٩ هـ ١٩١١ م)

فتاوى المتبائين

قد هنا هذا الباب لاجابة اسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يدع الناس مائة، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرزالي اسمه بالحروف ان شاء، واقنا نذكر الاسئلة بالتدريج طالبا وربما قد مننا متاخرا لسبب كعاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجنبنا غير مشترك مثل هذا. ولئن مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكره مرة واحدة فان لم تذكره كان لنا مندر صبيح لا نخاله

﴿ سؤال عن فتوى ﴾

(س ٢١) من السيد عبدالله بن عبد الرحمن الطاس بسنفا فوره

أرسل السائل إلنا السؤال الآتي مع جواب السيد عثمان بن عقيل عليه وكتب عليه ما يأتي

هذا جواب عن ذلك السؤال هل الحبيب مصيب في تأصيله ما ذكر في السؤال بما ذكر في الجواب أم غطى. وعن الاحاديث المذكورة فيه هل هي صحيحة مروية عن سيد السادة أم لا. وعما هو الحق في هذه المسألة. أفيدونا به على صفحات المنار إحقاقاً للحق وإزهاقاً للباطل فإله يديكم ويرعاكم ويحفظكم وهذا نص السؤال والجواب المسئول عنه

﴿ هذا السؤال صدر من جماعة من المسلمين ﴾

« من بندر سنفا فوره »

ما قولكم فيما يعمله الناس في ليلة النصف من شعبان من قراءة سورة يس المعظمة ثلاث مرات بنية مخصوصة والثناء المعروف بعد كل مرة هل هو سنة وله أصل من الكتاب أو السنة أم لا فان بعض الناس يقول انه بدعة ليس له أصل لا من الكتاب ولا من السنة ينونا لنا حكم هذا العمل وما هي البدعة وأقسامها بياناً شافياً انابكم الله آمين

﴿ الجواب ﴾

نسأل الله تعالى التوفيق للصواب اعلموا وفقني الله وإياكم لمرضاته ان هذا العمل الذي ذكرتم له أصل من السنة وقد عمل به الخاص والعام من العلماء والصالحين وعامة المسلمين في الأمصار والاعصار من غير انكار ممن يعتبر قوله . أما أصله فقد قال العلامة الشيخ علي بن محمد الحازن في تفسيره لباب التأويل في معاني التنزيل في قوله تعالى « في ليلة مباركة » الى قوله تعالى « فيها يفرق كل أمر حكيم » وروى البغوي بسنده ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « تقطع الآجال من شعبان الى شعبان » وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الله يقضي الاقضية في ليلة النصف من شعبان ويسلمها الى أربابها في ليلة القدر انتهى وقال العلامة السيد علي بن عبد البر الوائلي في رسالته المتعلقة بفضائل ليلة النصف من شعبان وعن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يكتب الآجال من شعبان الى شعبان » اه وقال العلامة الشيخ سليمان الجمل في حاشيته على تفسير الجلالين وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الله يقضي الاقضية في ليلة نصف شعبان ويسلمها الى أربابها في ليلة القدر اه

وأما قول أكثر المفسرين ان قوله تعالى « في ليلة مباركة » هي ليلة القدر قال الشيخ الجمل في حاشيته ما معناه ان المراد منه ظهور تلك الأمور التي قدرها المولى عز وجل في قوله « فيها يفرق كل أمر حكيم » أي ظهورها للسلاكة في ليلة القدر وليس المراد ان تلك الأمور لا تحدث الا في تلك الليلة فقد جاءت الاخبار الصحيحة بأن الله تعالى قدر تلك الأمور في ليلة النصف من شعبان وسلمها للسلاكة في ليلة القدر انتهى ثم قال وهذا يصلح ان يكون جمعا بين القولين وقال أيضا واذ تفاوتت الاوصاف وحب القول بأن احدى الليلتين هي الاخرى انتهى وقال السيد علي الوائلي في رسالته المذكورة وعن عثمان ابن العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا كان ليلة النصف من شعبان نادى مناد هل من مستغفر فاغفر له هل من سائل فأعطيه فلا يسأل أحد الا أعطاه الا زانية أو مشركة وفي رواية ما لم يكن تشارا أو ساحرا أو صاحب كوبة أو عطربة وفي رواية عن عائشة رضي الله عنها ان الله يطلع على عباده في ليلة النصف من شعبان فيغفر للمستغفرين ويؤخر أهل الحقد بحقدهم ثم أورد أحاديث كثيرة في فضل ليلة نصف شعبان الى أن قال وما ينبغي ليلة النصف من شعبان ان

يقرأ الإنسان بين صلاتي المغرب والعشاء سورة يس قيامها ثلاث مرات الأولى بنية طول العمر له ولمن يحبه الثانية بنية التوسعة في الرزق مع البركة في العام الثالثة بنية ان يكتبه الله من السعداء ويأتي بالدعاء المشير وهو اللهم إذا المن إلى آخره انتهى وأما تعريف البدعة وأقسامها فهي تعريفها الأحكام الخمسة منها واجبة وهي كل ما يتوقف فعل شيء من الواجبات الشرعية به فهو واجب أيضاً للقاعدة المقررة ومنها مندوبة كبناء الرباطات والمدارس ونحوها ومنها مباحة كالتمسك في لذائذ الأكل ومنها مكروهة كخرقة المساجد ومنها محرمة ومكفرة كبدعة الرافضة والوهابية وعليها قول الإمام الشافعي رضي الله عنه ما أحدث وخالف كتاباً أو سنة أو إجماعاً أو أثراً فهو البدعة الضالة انتهى فيما ذكر من الأحاديث ونصوص هؤلاء الأئمة يعلم ان قراءة يس في هذا السؤال له أصل وأي أصل وان القائل بأنها بدعة لعله متمسك بالعلم الجديد أو انه من قسم الخامس من المبتدعة لانهم يضعفون الحديث الصحيح اذا خالف هواهم ويصححون الحديث الموضوع اذا وافق هواهم فمن أراد الاطلاع على هذا فعليه برسالتنا الآتية ان شاء الله تعالى المسماة بإعانة المرشدين على اجتناب البدع في الدين وإلى هنا انتهى الجواب

(المأرجح) اعلم يا أخي قبل الجواب عن هذه الفتوى ان مصيبة الدين بالتقليد الذي ذمه علماء السلف كافة وأهل البصيرة من الخلف ليست هي عبارة عما اجازه بعض المؤلفين من رجوع الجاهل الى الامام المجتهد فيما لا يعلم حكمه من أمر دينه واخذه بفتواه وان لم يذكر له دليلها من الكتاب والسنة وانما مصيبة التقليد السوء هي انها صرفت المسلمين عن الكتاب والسنة وعن كتب الأئمة المجتهدين في الفقه وغيره وعن الثقات السابقين الى تحقيق كل علم، صرفتهم عن هؤلاء الى اناس من الجاهلين المقلدين لامثالهم المهجمين على الفتوى والتأليف والاجتهاد بغير علم . وانما يأخذ الناس بأقوالهم لثقتهم بهم وثقة العامي قرية المثال، فالتأني في كل بلاد اناساً من ادعاء العلم تتفق العامة لانها تراهم امثال من تعرفهم في ظاهر الصلاح أو قراءة الكتب وهي لا يميز بين الكتب التي يعتمد عليها والتي لا يعتمد عليها، ونعرف ان كثيراً من هؤلاء الموثوق بهم دجالون من أهل التلخيص ومنهم من قرأوا قليلاً من مبادئ العلم وولعوا بكتب من لا ثقة بدينهم ولا بعلمهم ودرسوا وأفتوا بها وهم لا يميزون بين ما فيها من حق وباطل ، وصحيح وسقيم ، وانما تعجبهم هذه الكتب المحشوة بالأحاديث الموضوعة واخرافات والبدع لسهولتها وعدم توقف فهمها على معرفة الاصطلاحات العلمية ،

كاصطلاحات علماء الحديث والاصول في قد الحديث وما يحتج به منه وما لا يحتج به
نعرف في بلادنا كثيراً من الشيوخ الذين وثقت بهم العامة حتى في المدن التي
فيها كثير من العلماء الذين يعتد بعلمهم وتقارهم وانهم ليكونون اكثر في البلاد التي تقل
فيها العلماء وفي القرى، ومما يؤكد هذه الثقة حسن السمعة ومظهر الصلاح والانتساب
الى بيوت العلم والشرف . هؤلاء هم منار الجهل والبدع في هذه الامة ولا سيما في
هذه القرون الاخيرة وقد ذكر بعض اخبارهم ابن الجوزي وغيره من العلماء
يدعي هؤلاء انهم علماء مقلدون للائمة ولا يعرفون من كلام الائمة شيئاً ولا
يقفون عند حدود ما اتفق به المشهورون من الفقهاء المنتسبين الى اولئك الائمة رضي
الله عنهم ، وهم مع هذا يحاربون متبعي الائمة بحق اذا دعوهم الى الحق بدلائل
الكتاب والسنة ، بل يحاربون الكتاب والسنة ، باسم اولئك الائمة ، قائلين ان
فهمهم لهما اصح من فهم فلان الذي يدعوك اليهما الان . سلمنا ان فهمهم اصح فليأتنا
هؤلاء الجاهلون بنصوصهم في تفسيرها وليحاربونا بها ، انهم انما يجهلون بكلام امثالهم
من العوام الذين تجرؤا على التأليف ويلصقونها بالائمة والائمة برآء منها ، وماذا تفعل
بقلة الجاهلين بهم ، وقد انسدت في وجههم باب التمييز بين الحق والباطل
من هؤلاء الشيوخ في بلاد جاوه الشيخ عثمان بن عبد الله بن عقيل ، شيخ له
سمعة ونسب واطلاع على كثير من الكتب التي لا يعتد بها ولا تصلح للفتوى منها
يقول هذا الشيخ الوقور انه شافعي المذهب وان عمدته من كتب فقهاء الشافعية
المتأخرين كتب ابن حجر الهيتمي . « افلح الاعرابي ان صدق » ابن حجر يقول
في فتاواه الحديثية ان الاعتماد في رواية الاحاديث على مجرد رؤيتها في كتاب ليس
مؤلفه من أهل الحديث لا يحل ومن فعله عذر عليه التعذير الشديد ، وذكر ان
اكثر الخطباء كذلك وانه يجب على الحكام ان يمنعوهم من ذلك (راجع ص ٣٢
من هذه الفتاوى المطبوعة بمصر) فلماذا لم يأخذ الشيخ عثمان بهذه الفتوى ، فهو
يسأل عن مسألة هل لها أصل في الكتاب والسنة فيورد احاديث من رسالة الوائلي
ويقرها وهي لا تصح وليست نصاً في المسألة ، ثم ينقل رأي هذا الرجل ويقره ويجعل
ذلك فتوى ، بأن للمسألة أصلاً في الكتاب والسنة . وهذا الوائلي ليس إماماً مجتهداً
ولا محدثاً حافظاً يعتد بنقله وما نقله ليس نصاً فيما ارتآه فكيف جاز للشيخ عثمان بن
عقيل ان يفتي برأيه . لعل هذا الوائلي مثل ابن عقيل هذا وستكون فتاوى السيد
عثمان ورسائله مما يفتي به مثله من بعده وتعارض بها نصوص الكتاب والسنة بناء

٢٥٤ عبادات ليلة النصف من شعبان (المنار ج ٤ م ١٤)

على ادعائه الانتساب الى الامام الشافعي وان لم يعرف قوله ولم يفت به . هذه مقدمة لم نر بدا من يانها

﴿ اقوال المحدثين والثقات في عبادات ليلة النصف من شعبان ﴾

روي في الموضوعات والواحيات والضعاف التي لا يحتج بها احاديث في كثير من العبادات منها صلاة ليلة الرغائب من رجب وليلة نصف شعبان ، ولكن هذا الشعار الاسلامي المبتدع المعروف الآن لم يرد فيه شيء من ذلك ولكنه عمل به في الجملة منذ القرون الاولى ، ولهذا اغتر بصلاة رجب وشعبان بعض الفقهاء والصوفية كأبي طالب المكي وابي حامد الغزالي على جلالة قدرهما وسبب ذلك قلة بضاعتها في قد الحديث . وقد بين خطأهما المحدثون والفقهاء كالامام النووي الذي هو عمدة الشافعية وأطال الحافظ العراقي في تخرج احاديث الاحياء في بيان ذلك وقد قل كلامه شارحه السيد مرتضى الزبيدي ثم قال

« وقال التقي السبكي في تقييد التراجيح صلاة ليلة النصف من شعبان وصلاة الرغائب بدعة مذمومة اه وقال النووي هاتان الصلاتان بدعتان موضوعتان منكرتان قبيحتان ولا تغتر بذكرهما في القوت والاحياء وليس لاحد أن يستدل على شرعيتها بقوله صلى الله عليه وسلم « الصلاة خير موضوع » فان ذلك يختص بصلاة لا تخالف الشرع بوجه من الوجوه وقد صح النهي عن الصلاة في الاوقات المكروهة اه » ثم قال الزبيدي « وقد توارث الخلف عن السلف في إحياء هذه الليلة بصلاة ست ركعات بعد صلاة المغرب كل ركعتين بتسليمة يقرأ في ركعة منها بالفاتحة مرة والاخلاص ست مرات وبعد الفراغ من كل ركعتين يقرأ سورة يس مرة ثم يدعو بالدعاء المشهور بدعاء ليلة النصف ويسأل الله تعالى البركة في العمر ثم في الثانية البركة في الرزق ثم في الثالثة حسن الخاتمة . وذكروا أن من صلى بهذه الكيفية أعطي ما طلب ، وهذه الصلاة مشهورة في كتب المتأخرين من السادة الصوفية ولم أرها ولا لدعائها مستنداً صحيحاً في السنة إلا انه من عمل المشايخ . وقد قال اصحابنا أنه يكره الاجتماع على إحياء ليلة من هذه الليالي المذكورة في المساجد وغيرها . وقال النجم النبطي في صفة إحياء ليلة النصف من شعبان بجماعة . أنه قد انكر ذلك أكثر العلماء من أهل الحجاز منهم عطاء وابن أبي مايكة وفقهاء المدينة واصحاب مالك وقالوا ذلك كاه بدعة ولم يثبت في قيامها جماعة شيء عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن اصحابه

(المارج ١٤م ٤) لا يصح في احاديث ليلة النصف شي ٢٥٥

ومن قال ذلك من أعيان التابعين خالد بن معدان وعثمان بن عامر وواقفهم اسحق ابن راهويه . والثاني كراهة الاجتماع لها في المساجد للصلاة واليه ذهب الاوزاعي فقيه الشام ومفتيهم اه

(المار) الخلاف الذي ذكره في قيام ليلة النصف من شعبان بما ذكر قد صرح بكراهة اصحابهم له أي الحنفية والكراهة اذا اطلقت عندهم تنصرف الى التحريم ، وقيل مثل ذلك عن الشافعية والمالكية ، فالتجيم القيطي من فقهاء الشافعية ، وقد رأيت قبله قول السبكي والنووي الشافعيين في صلاتها ، وأما الحنابلة فهم أشد من غيرهم نبذا لما ثبت في السنة ، ومن استحباها من علماء الشام كانوا مجتهدين وليس لهم اتباع الآن ومذاهبهم ليست مدونة ونص الفقهاء على انه لا يفتى بها

وقد بين المحدثون في كتب الموضوعات كل ما ورد في صلاة شعبان وقيامها وهو مما لا يعمل به ولو في الفضائل . قال في الفوائد المجموعة بعد ايراد شيء منها واغترار بعض الفقهاء كالغزالي وبعض المفسرين بها ما نصه « وقد رويت صلاة هذه الليلة اعني ليلة النصف من شعبان على انحاء مختلفة كلها باطلة موضوعة . ولا ينافي هذا رواية الترمذي من حديث عائشة رضي الله عنها لذهابه صلى الله عليه وسلم الى البقيع ونزول الرب ليلة النصف الى سماء الدنيا وانه يغفر لاكثر من عدد شعر غنم كلب فان الكلام إنما هو في هذه الصلاة الموضوعة في هذه الليلة . على أن حديث عائشة (رض) هذا فيه ضعف واقطاع ، كما ان حديث علي الذي تقدم ذكره في قيام ليلا لا ينافي كون هذه الصلاة موضوعة على ما فيه من الضعف حيثما ذكرناه » اه

أما (حديث) « قطعم الأجال من شعبان الى شعبان » فقد رواه ابن جرير والبيهقي عن عثمان بن محمد بن المغيرة وهو ابن الاخنس بن شريق الثقفي قال في الميزان حدث عن محمود القزاز مجهول ، وقال ابن المديني روى عن سعيد بن المسيب مناكير

وأما قول ابن عباس المذكور فان صح عنه لا يفيد في الباب شيئاً وقد نقل عن الجمل ان هذا المعنى ثبت في الاحاديث الصحيحة وليس قوله بشي ، فهذه كتب الصحاح في أيدينا ليس فيها ذلك والجمل ليس بمحدث بل يغتر بما يرى في كتب التفسير التي لا تميز بين صحيح وسقيم وقد قال المحدثون ان بعض المفسرين والفقهاء اعترضوا بما ورد في هذه الليلة على أنه إن صح لا يفيد في تأييد قتواه . وقد صرح ابن العربي بأنه لا يصح مما ورد في هذه الليلة شيء ، وهو ما قاله الزبيدي في شرح الاحياء

٢٥٦ لا يصح في احاديث ليلة النصف شبّي (المراجع ٤ م ١٤)

واما حديث « اذا كانت ليلة النصف من شعبان » فقد ذكره بألفاظ مختلفة وهو حديث علي الذي قال في الفوائد المجموعة بضعفه ، وقد رواه ابن ماجه من اصحاب السنن عن ابن ابي سبرة وهو ضعيف كما صرح محشي هذه السنن قلا عن الزوائد بل نقل عن الامام احمد وابن معين انه كان يضع الحديث . وروى ابن ماجه حديث عائشة أيضاً وقد علمت انهم صرحوا بضعفه واقتطاع سنده عن الترمذي . وهو امثل ما ورد في هذه المسألة . وروى ابن ماجه أيضاً حديث « ان الله ليطلع في ليلة النصف من شعبان فيففر لجميع خلقه الا لمشرك أو مشاحن » وهو عن الوليد بن مسلم المدلس عن عبدالله بن لهيعة وهو ضعيف . ورواه غيره أيضاً ويعارض هذه الروايات في خصوصية ليلة النصف من شعبان احاديث الصحيحين في نزول الرب كل ليلة الى سماء الدنيا وقوله : هل من مستغفر هل من تأب . وحديث مسلم في عرض الاعمال كل اثنين وخميس والمغفرة لغير المشركين والمتشاحنين ، وجملة القول إن الشعائر التي تقام في ليلة النصف من شعبان ليس لها أصل صحيح في الكتاب ولا في السنة ، وان الروايات التي ذكرها ابن عقيل غير صحيحة وهو لجهله بالحديث لم يرجع فيها الى كتب الحديث بل نقلها عن لا يعتد بهم ، ثم انها لا تدل على مشروعية ما سئل عنه وهو قراءة يس والدعاء بالصفة التي ذكرها ، وان هذه العبادات في تلك الليلة وليدة الرغائب قد حدثت في القرون الاولى قبلها كثير من العبادات والمصوفة وانكرها المحدثون والفقهاء لعدم ثبوت أصلها ولان الله تعالى قد أكمل الدين فن زاد فيه كمن نقص منه كلاهما مبتدع . وقد انكر عثمان بن عقيل على الذين يصححون أو يضعفون الاحاديث بالهوى وهو منهم فانه يتكلم في الاحاديث بغير علم ولو كان من أهل العلم بها لما اعتمد في نقلها على الوثائي والجل وترك البخاري ومسلما واصحاب السنن الاربعة واضرابهم كما ينكر على الذين يقتون بالدلائل من الكتاب والسنة بعلم وينفي بهما بغير علم ، ولو كان في بلادها حكومة اسلامية لمنع من الفتوى وعوقب عليها ولكن جاهه وقوته في الاستناد على حكومة غير اسلامية في بلاد ليس فيها علماء ومحققون

واما ما ذكره في مسألة البدعة فلا يصح على إطلاقه وقد ثبت في الحديث الصحيح ان كل بدعة ضلالة ، ولذلك صرح بعضهم بأن البدعة الشرعية لا تكون الا ضلالة ، وأما البدعة اللغوية فهي التي تعترها الاحكام الخمسة . فكل ما لا دليل عليه في الكتاب والسنة من أمر الدين كالعبادات والشعائر الدينية فهو بدعة سبئية وضلالة

محققة وعليها تحمل الكلية في الحديث وما في معناه من الأحاديث الكثيرة . وأما ما سوى الأمور الدينية المحضة وإن كانت نافعة في الدين كالعلوم والفنون المسهلة لفهمه والتفقه فيه فهي التي تعترها الأحكام الخمسة فيحكم فيها بحسب ما فيها من النفع أو الضرر أو عدمها . مثال ذلك أن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب . ولا يتم الجهاد في هذا الزمان إلا بالعلوم والفنون العسكرية التي لم تكن في العصر الأول ولا دليل عليها بخصوصها فهي واجبة حتماً وإن كانت من العلم الجديد الذي يحمله فيعاديهِ الشيخ عثمان بن عقیل فقد قال في آخر فتواه « فيما ذكر من الأحاديث ونصوص هؤلاء الأئمة يعلم أن قراءة يس في هذا السؤال له أصل وأي أصل وإن القائل بأنها بدعة لعله متمسك بالعلم الجديد أو أنه من قسم الخامس (كذا) من المبتدعة » الخ وانت ترى أن الأحاديث التي ذكرها ليس فيها ذكر لقراءة يس فهل يكتب مثل هذا من يعقل ما يكتب . وإذا كان يفتي بالشيء ويعزوه إلى أحاديث الرسول صلى تعالى عليه وسلم ولا ذكر له ولا إشارة فيما أورده منها على كونه مما لا يحتاج بمثله فهل يلتفت إلى قوله لعل القائل بأنها بدعة متمسك بالعلم الجديد الخ ثم ما هو العلم الجديد الذي يعاديهِ ويعرض بأهله وماذا عرف هو من العلم القديم ، ومن قال أن الوثائي من الأئمة الذين يؤخذ بأقوالهم وتجعل آراؤهم أحاديث نبوية ؟؟

(تمة لا بد منها) أن الذين يقرءون سورة يس في ليلة النصف من شعبان يذكرون قبل قراءتها كل مرة حديث « يس لما قرئت له » وقد قال الحافظ السخاوي أن هذا الحديث لا أصل له كما في كتاب (تميز الطيب من الخبيث) وكتاب (الأولو المرصوع) فهل يدلنا الشيخ عثمان على أحد من أصحاب العلم القديم قال أن هذا الحديث صحيح ، والا فلماذا لا ينكر على الجماهير كذبهم على النبي صلى الله عليه وسلم وقد ورد فيه من الوعيد ماورد

﴿ استقبال القبلة عينها أوجهتها ، والفتوى بالقول المرجوح ﴾

(س ٢٢ و ٢٣) من صاحب الامضاء في مكة المنكرمة

افيدونا يا مولانا وسيدنا بيانا شافياً :

في قول الامام الغزالي في حياته وقول الاذرعى باعتماد الاكتفاء في استقبال القبلة

(المجلد الرابع عشر)

(٣٣)

(المنار ج ٤)

في الصلاة بجهتها في البعد مستعدلاً بالسكتاب والسنة وفعل الصحابة والقياس هل يجوز للشخص أن يعمل ويبنى المسجد عملاً به أولاً ؟ فإن قلتم بالجواز فما قولكم في قولهم لا يجوز الافتاء الا بالقول الراجح ؟ وان قلتم لا يجوز لذلك ويفهم منه انه لا يجوز الافتاء بالقول المرجوح كما لا يخفى على المشيرين في تحصيل العلم وعدم جواز الافتاء به هل هو على الاطلاق أو مقيد بما اذا لم يختره جماعة ممن يعتمد في كلامه وقوله وقد أخبرني من به ثقة بان هذا القول قد اختاره جماعة من الفقهاء . وما ذكره الفقهاء من انه يجوز العمل بالقول الضعيف ما لم يشتد ضعفه وانه لا يجوز الاستدلال بالحديث الضعيف اذا لم يكن فيه مقوى من طرق متعددة يؤيد ذلك التقيد ، وفي فوائد المكية يجوز القضاء والافتاء بالقول المرجوح لحاجة أو مصلحة عامة ، وفيها أيضاً ان الاصح من كلام التأخرين كالشيخ ابن حجر وغيره انه يجوز الانتقال من مذهب الى مذهب من المذاهب المدونة ولو بمجرد التشهي سواء انتقل دواماً أو في بعض الحادثة وان افق أو حكم أو عمل بخلافه ما لم يلزم منه التلويح اه

ف عند الامام مالك واحمد واتباعهما رضي الله عنهم انهم لا يطلون الصلاة عند استقبال الجهة وكذا هو قول عندنا معاصر الشافعية (فقد قال) الغزالي والاذري رحمهما الله تعالى بجواز ذلك كما يؤخذ من شرح البهجة بزيادة وصرح به في التنبيه اه ، وفي الاصول قاعدة معتبرة وهي ان المألوف يدور مع علته وعلته هنا وجود المشقة من حيث الابدع عن بيت الله العظيم مع ان القاعدة المشقة تجلب التيسير والامر اذا ضاق اتسع فان كان المصلي يشترط في استقبال عين القبلة وكذلك المسجد يشترط مبناه ان يسامتها بجميع مركوزه وهما في مسافة البعد كأرض الجاوي والهندي وغيرهما من سائر المملكة فما تقول فان قلتم يشترط على كل واحد منهما أن يحتاط مع بيت الابرّة المعروف ليعلم عنها فاذا يستحق الذي افق من الجمل الفقير باعتماد الاكتفاء بالجهة لانه فهم منها انه صادق بمحاذاة عين القبلة أولاً كما يؤخذ من الفاية التي ذكرها العلامة اليجري على فتح الوهاب اه فنوا بالاعانة فلكم الفضل الظاهر والشكر الباهر ودام فضلكم وعلا قدركم ولا زلم مأجورين بجاء جدكم الأمين . سيدي السائل احمد جاوي

(ج) قد اضطرب كلام اصحابنا الشافعية في مسألة القبلة وما كان ينبغي لهم ذلك

فالحق واضح فيها وكلام الشافعي نفسه صريح جداً

من كان في الحرم يرى السكبة يستقبلها قطعاً ولا تصح صلاته اذا خرج عن

محاذاتها ومن كان بعيداً عنها لا يراها فانه يستقبل الجهة التي هي فيها ويعترفها بالاجتهاد فمن علم ان الكعبة في هذه الجهة لم يكن له ان يحول عنها فان كان عنده من وسائل الاجتهاد ما يعلم به ان البيت يحاذي خطأ معيناً لم يكن له ان يتعداه، والاجاز له التيامن والتياسر في الجهة كما يؤخذ من حديث الصحيحين « شرقوا أو غربوا » وما يؤيده . والعمدة ان يعتقد انه متوجه لتلقاه البيت بما عنده من اسباب الاجتهاد ، لا يكلف غير هذا لان غير هذا لا يستطيع ولا يدخل في الوسم

فسر الشافعي في رسالته شطر المسجد الحرام بتلقائه ثم قال ما نصه « فالعلم يحيط ان من توجه لتلقاه المسجد الحرام ممن تأت داره عنه على صواب بالاجتهاد يتوجه الى البيت بالدلائل عليه لان الذي كلف العباد التوجه اليه وهو لا يدري أصاب بتوجهه قصد المسجد الحرام أو أخطأ وقد يري دلائل يعرفها فيتوجه بقدر ما يعرف ويعرف غيره دلائل فيتوجه بقدر ما يعرف وان اختلف توجههما » اهـ

وتلقاه الشيء تجاهه ونحوه كما ذكر في مادة (وجه) من لسان العرب. والتجاه الجهة التي تستقبلها بوجهك . ومنه قوله تعالى في قصة موسى عليه السلام « ولما توجه تلقاه مدين) أي سار في الجهة الموصلة اليها ونحانحوها

وقال كما رواه عنه المزني في مختصره مانصه « ولا يجوز لاحد صلاة فريضة ولا نافلة ولا سجود قرآن ولا جنازة الا متوجها الى البيت الحرام ما كان يقدر على رؤيته الا في حالتين - وذكر صلاة النافلة على الراحة وصلاة شدة الخوف رجلا أو ركبانا ثم قال - فلا يصلي في غير الحالتين الا الى البيت ان كان معانياً فالصواب وان كان مفصياً فالاجتهاد بالدلائل على صواب جهة القبلة » اهـ وكلامه في كتاب الام على طوله لا يخرج عن هذا المعنى الذي اختصره المزني عنه وقد صرح فيه بلفظ الجهة تصريحاً وذكر الشيرازي في التنبيه قولين في البعد لم يرجح واحداً منهما على الآخر فقال « والفرض في القبلة إصابة العين فمن قرب منها لزمه ذلك يقيين ومن بعد منها لزمه الظن في أحد القولين وفي القول الآخر لمن بعد الجهة » اهـ

أقول لم أر في كلام الشافعي قولين في المسألة وعندي ان ما صرحوا فيه عنه بلفظ الجهة وما لم يصرحوا فيه به واحد والمراد ان يعرف سمت الكعبة بالاجتهاد فتعرفها واستقبلها كان معتقداً أنه متوجه لتلقاه الكعبة في الجهة وانه مول وجهه شطرها لان الذي يعرف جمهور المكلفين بالاجتهاد في حالة البعد هو الجهة ، وكلا بعد الانسان عن الشيء الذي يستقبله مفرج المسافة التي بينه وبينه وتقسع

٢٦٠ الفتوى بنصوص المذهب والترجيح فيها (المأرجح ٤ م ١٤)

ولو كان في المسألة قولان مختلفان لكان الفرق بينهما في العمل ان من علم ان الكعبة في جهة الشمال كان له على القول الثاني ان يتوجه في صلاته الى القطب الشمالي وان ينحرف عنه يمينا أو يساراً وان علم بالدلائل انه لو خرج خط مستقيم منه الى الكعبة لاصابها في حال استقباله ولو خرج من حيث توجه منحرفاً عنه لم يصيبها. وهذا هو الذي يترتب على عبارة التفتيه دون عبارة مختصر المزني . ولذلك اضطربت أقوال المتأخرين من الشافعية والحكم واضح كما قلنا فان جماهير المكلفين لا يعرفون في حالة البعد بالاجتهاد الا الجهة التي فيها الكعبة وذلك كاف عند الشافعي ولا يفهم من علامته غيره . وهو لا ينافي ان الواجب على من كان عنده علم خاص بتحديد نقطة معينة من الجهة ان يعمل بعلمه ولا يجوز له التماس والتيسر اذا اعتقد أنه يخرج به عن محاذاة الكعبة ، وهذا التفصيل يؤخذ من تصريح الشافعي بأن على كل مجتهد في القبلة ان يتوجه بقدر ما يعرف ، ولا حرج في هذا ولا مشقة على أحد

فلم من هذا ان المعتمدان للشافعي قولاً واحداً في المسألة وهو ظاهر الكتاب والسنة ومقتضى القياس والذي عليه عمل الناس ، وتلك الفلسفة التي اضطرب فيها المتأخرون انما أخذها بعضهم من عبارة بعض ، ولا يحتاج من يقول بالجهة في موافقة الشافعي رحمه الله تعالى الى الافتاء بالقول المرجوح

فالعمل الذي يوافق مذهب الشافعي هو ان يجتهد المصلي في تعرف جهة الكعبة بالشمس والكواكب والرياح والحيال ويعمل باجتهاده ، ومن كان على علم بتقويم البلدان (الجغرافية) وكان معه بيت الابرة فان علمه يسمت القبلة يكون أقوى مما يصل اليه الجتهد بالعلامات التي ذكرها فيجب عليه بقدر ما يعرف . ويعتمد في بناء المسجد علم أوسع أهل البلد علماً بذلك

واما الفتوى بالقول المرجوح فقد قيل ما قيل مما عرفه السائل والحق ان العالم المجتهد لا يكون له في المسألة الواحدة قولان مختلفان أحدهما راجع والآخر مرجوح وهو يجزئ العمل بهما ولكنه قد يقول القول فيظهر له خطؤه فيرجع عنه بقول آخر فلا يبقى الا قول له ، وقد يتردد في المسألة فلا يكون له فيها قول ، وان تقل عنه قولان مختلفان كان أحدهما مرجوحاً عنه أو مكذوباً فان وجد المرجح والا تساقطا . فمن سئل عن قول عالم مجتهد في مسألة وجب عليه ان يرجع الى كتبه وينظر قوله فيها ويحجب به فان لم يجد كتبه بحث عن ذلك في كتب ائتمانه وتحرى وميز بين ما يعرفه اليه تصريحاً وما يظن القول فيه أو يذكره تخميناً أو استنباطاً ،

(المارج ٤ م ١٤) افتاء الشافعية بالدليل وعده من المذهب ٢٦١

فإذا لم يظهر له قتل عنه يطمئن قلبه له فعليه ان يمك عن الفتوى معزوة اليه ، وكتب الفقهاء المنتسبين الى المذاهب عملاء بالاقوال التي لم ينقل عن أئمة تلك المذاهب فيها شيء . قال ابن القيم : قد اختلطت اقوال الأئمة وقاويلهم بأقوال المنتسبين اليهم واختياراتهم فليس كل ما في كتبهم (أي الفقهاء المنتسبين الى الأئمة) منصوباً عن الأئمة بل كثير منها يخالف نصوصهم وكثير منه لا نص لهم فيه وكثير منه يخرج على قائلهم ، وكثير منه اقتوا به بلفظه أو بمعناه فلا يحل لاحد أن يقول هذا قول فلان ومذهبه الا ان يعلم يقيناً انه قوله ومذهبه . اهـ وبناء على هذا تضاربت أقوال أهل المذهب الواحد واختلفت واحتيج الى الترجيح بينها ، فالراجح والمرجوح إنما هما من كلام أولئك المنتسبين الذين لم يعرفوا قول الامام قطعاً . ومن كان من أهل الترجيح أفتى بالراجح عنده وليس لغيره ان يفتي . وقد بينا في الفتوى السابقة أن الناس صاروا يقتنون بأقوال الجاهلين الذين يجروّن على التأليف لما وقع فيه المسلمون من الفوضى في العلم والدين بترك الأدلة ، ويجعلون أقوال هؤلاء من المذهب ويقدمونها على ما يعرف من نصوص الكتاب والسنة ، بالصاقها بالأئمة ، لادعاء أولئك الجاهلين اتباعهم وما هم لهم بمتبعين

وما أفتى به الغزالي وامثاله مخالفاً للمعروف من مذهب الشافعي فانما أقنوا بما ظهر لهم بالدليل أنه الحق لا بمذهب الشافعي ، وقد كان بعضهم يلصق مثل هذه الفتاوى بالشافعي لا على معنى انها قوله وفتواه بل عملاً ببعض أصوله كقولهم قد صح الحديث بهذا وهو يقول اذا صح الحديث فهو مذهبي ، وقولهم ان في هذا سعة وهو يقول اذا ضاق الامر اتسع . والحق ان اتباع الحقيقي للشافعي وغيره من الأئمة رضي الله عنهم انما هو تقديم الكتاب والسنة على أقوالهم واقوال جميع الناس وقد عمل بهذا كثير من المنتسبين الى الشافعي وغيره كما يفتاء مراراً في مواضع من المنار ، وانما صار الناس يلتزمون تقليد الفقيه الواحد في كل ما يعزى اليه بعد القرون الثلاثة التي هي خير القرون بشهادة الصادق المصدوق (ص) وما نسب كبراء الفقهاء المتقدمين الى الأئمة الاجريهم على أصولهم وطريقتهم في استنباط الأحكام دون اتباع اقوالهم في الفروع . ذكر هذا المني ابن الصلاح واقره عليه النووي بقوله : هذا موافق لما امرهم به الشافعي ثم المزني في أول مختصره وغيره بقوله (أي المزني) : « مع إعلامية نهيه عن تقليده وتقليد غيره » أي نهى الشافعي عن تقليده فيما ينقله من علمه في ذلك المختصر وجملة القول ان من سئل عن حكم الله ورسوله في مسألة بينها من كتاب الله

٢٦٢ نداء الولي شيئا لله والاستمداد منه (المتأرجح ١٤م)

وسنة رسوله ان علم ، ومن سئل عن رأيه واعتقاده فيها بينه بدليله ان استبان له ،
ومن سئل عن قول امام بينه من كتبه أو قل صريح عنه يعتقد به ان علمه ، فان أنقذ
بالدليل على أصله صرح بذلك ، والأأمسك عن الفتوى وقال لا ادري والله أعلم



﴿ قول شيئا لله والاستمداد من الاولياء ﴾

(من ٢٤ - ٢٦) من مكة المكرمة

من المعترف بالتقصير عبد القادر ملاقدر البخاري الى رفيع مقام استاذنا الاجل
العلامة السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الاسلامية حفظه رب البرية
سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . أما بعد فقد كلفني بعض الاخوان المخلصين في
صاحب المنار ان أرفع واقدم لرفيع مقامكم السؤال الآتي راجياً اجابة سؤاله على
صفحات المنار وفي أقرب عدد يصدر منه انا بكم الله جزيل الثواب ورفع أعلامكم المتبره
هذا هو السؤال

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده

أما بعد فما قولكم أيها العلماء الكرام في هذه الايات

شيئاً لله يا عبد القادر محي الدين في القلب حاضر

حيلاي بالله بادر المدد يا عبد القادر

أيكفر قارئها أم لا . وهل يلزمه تجديد التكاح أم لا وهل يجوز الاستمداد من
الاولياء الكرام بعد المات كما يجوز الاستمداد في الحياة وهل يسمع الاولياء نداء أم لا
ينونا لنا الاحكام بالتفصيل ولكم عند الله أجر جزيل . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

قول شيئا لله

(ج) . صرح بعض الفقهاء بتكفير من يقول مثل هذا القول لانه دعاء لقير الله
تعالى و« الدعاء هو العبادة » كما رواه احمد وابن أبي شيبة والبخاري في الادب المفرد
وأصحاب السنن الاربعة وابن حبان في صحيحه مرفوعا ، ومن ذلك قول بعض فقهاء
الحنفية في سرمد المكفرات من منظومة له (ومن قال شي لله بعض يكفر)
ومن الفقهاء من لا يطاق القول في تكفير صاحب هذا القول بل يفضل فيه باحثا
عن قصد القائل واعتقاده فاذا كان يعتقد أن عبد القادر الذي يدعوه (ومثله كل من

(المارچ ١٤م) الاستمداد من الصالحين أحياء وأمواتا ٢٦٢

يدعى من دون الله ولو نيا (أو ملكا) قادر على اجابة دعائه لان له سلطة وراء الاسباب العادية والسنن الالهية التي تجري عليها أعمال الناس، أو يعتقد ان له (أي للمدعو من دون الله) تأثيراً في الارادة الالهية بأن يريد الله تعالى بعدد دعائه والتوسل به ما لم يكن يريد قبل ذلك - اذا كان يُعتقد أحد هذين الامرين يظهر القول برده والحكم بشركه لانه بالاول جعل من دعاء شريكا لله تعالى في التصرف المطلق والامتياز على سائر المخلوقين بالخروج عن سنة الله تعالى في ارتباط الاسباب بالمسببات، وبالتالي جعل البارئ سبحانه وتعالى محلاً لتأثير الحوادث

القول الاول شديد جدا ولكنه هو الاحوط للناس حتى لا يقولوا مثل هذه الاقوال التي صرح بعض العلماء بكفر صاحبها، والثاني هو الاحوط للمفتي لئلا يخرج من الملة من هو من أهلها بقول تلقفه من غير أن يعلم أنه يعتقد ما ينافي التوحيد. والذي أراه هو انه ينبغي العالم المستفي في مثل هذا أو الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر أن يبين للمستفي أو لمن يعلم انه يقول هذه الاقوال حقيقة التوحيد ومعنى العبادة وحقيقة الشرك الجلي والشرك الخفي ليحكم وجدانه واعتقاده في مثل هذا القول الذي يدل على ضرب من الشرك بنوع ما من أنواع الدلالة قد يكون هو الباعث على القول، وقد يجري اللسان بالكلمة مع عدم تصور ما تدل عليه مطابقة أو التزاما اذا فهم من ينطق بتلك الاسجاع حقيقة التوحيد والعبادة وحقيقة الشرك وكان يعلم من نفسه انه لم يقصد بها معنى من معاني الشرك الجلي ولا ما ينافي التوحيد أو يدخل في معنى العبادة فيكفيه أن يتوب عن القول الذي اختلف فيه ولا يجدد عقد نكاحه، وان ظهر له ان قوله من الدماء الحقيقي الذي هو العبادة كما في الحديث الصحيح أوع العبادة كما في رواية أخرى ضعيفة السند، وانه تسرب اليه الشرك فعليه أن يتوب ويجدد إسلامه ويجدد عقد نكاحه مطلقاً ان كان يدين الله تعالى بمذهب الخفية، وأما اذا كان على مذهب الشافعية القائلين بأن المرتد اذا تاب قبل اقضاء عدة امرأته عادت الى عصمته بغير عقد واذا تاب بعد اقضاءها احتاج الى عقد جديد، عمل بذلك

الاستمداد من الصالحين

مسألة الاستمداد من الصالحين في الحياة وبعد الممات مشبهة لا يتجلى الحق فيها الا ببيان حقيقة الاستمداد وقد يأتي فيها التفصيل الذي ذكرناه في المسألة الاولى الاستمداد طلب المدد وهو ما يجد الشيء أي يزيد في مادته الحسية أو المصنوية، فن طلب من مخلوق مدداً جسماً كالزيادة في ماله ورزقه والنماء في زرعه بغير الاسباب

التي جعلها الله شرعاً بين خلقه فقد طلب منه مالا يطلب الا من الله تعالى وهذا ينافي التوحيد لانه عبادة لغير الله تعالى

ومن طلب من المخلوق مدداً معنوياً فهو على نوعين نوع يعد شركاً كطلب الزيادة في العمر فان هذا مما لا يطلب الا من الله تعالى فمن طلبه من غيره فقد اشركه معه ، ونوع لا يعد شركاً لانه داخل في دائرة الاسباب وهو ما يطلبه المتصوفون من أهل العلم بزيارة الصالحين وقربهم أو ذكر مناقبهم وسيرتهم وتصور احوالهم من الزيادة في حب الخير والصالح والتقوى ويعبرون عن هذه الزيادة التي يجودونها في نوسهم بالبركة والمدد . ولكنهم لا يدعونهم من دون الله ولا يفعلون ما لم يفعله السلف وإنما كان هذا مما لا بأس فيه لاهله ولا حرج في طلبه بلسان الاستعداد وتوجه القلب ان شاء الله تعالى لانه منظم في سلك الاسباب فان الانسان يتأثر بأحوال غيره اذا رآها أو تصورها أو سمعها فان كانت تلك الاحوال حسنة صالحة ازداد رغبة في الصلاح وان كانت بالضد زاد ميله الى مثلها، فالذين يعاشرهم الظلمة المستبدين أو الفساق المستولنين تقوى في نفوسهم داعية الظلم أو الفسق والانغماس في الشهوات، وتصور وقائلهم وقراءة أخبارهم لا تخلو من مثل تأثير معاشرتهم، ولا سيما اذا كانت أخبارهم مكتوبة بمداد الثناء والتعظيم في قسم الظالمين، والاستحسان وتمثيل الغبطة وورغد العيش في قسم الفاسقين كل هذا مجرب معروف وانك لتجلس الى الحزين الكئيب فيسرى الى نفسك شيء من امتعاضه وكآبته ، وتجلس الى المغبوط المسرور فتجد في نفسك أثراً من السرور وانشراح الصدر ، وتعاشر أهل الجد والنشاط فينالك نصيب من نشاطهم ، وتعاشر أهل الخمول والكسل فيصيبك سهم من خمولهم ،

وقد رأينا أثر الخير والصالح في أنفسنا من بركة بعض مشايخنا كما وأيناه والله الحمد في أنفس تلامذتنا ، كنا اذا نمنا عند شيخنا الثالث أبي الحسن القاوقجي رحمه الله تعالى نزداد رغبة في العبادة من صيام وقيام اذ نرى ذلك الشيخ الكبير في السن والقدر يصوم الايام الفاضلة ويقوم طائفة من الليل لا يجيء الثلث الاخير منه الا ونستيقظ ونحن وقود في حجرة بجانب حجرته على صوت تكبيره وقراءته وبكائه، واما شيخنا الاستاذ الامام فكان اذا قام من الليل لا يسمع له صوت ولا يشعر له بجرعة وكنا نرى أثر مجالسه الخاصة في زيادة الايمان بالله عز وجل والثقة به جل ثاؤه والغيرة على الدين وعلو الهمة في الخير ،

أمير الألاي صادق بك

﴿ جمعية الاتحاد والترقي ﴾

يتساءل الناس في هذه الايام من هو صادق بك وماهي مكانته وما شأنه في هذا الاصلاح الذي حصل في حزب الاتحاد والترقي في مجلس المبعوثين في هذه الايام عرف في مصر وفي كثير من البلاد اسم صادق بك والناس واقفون في الحكم له او عليه واصحاب الجرائد قد امسكوا عن التعريف به سواء منهم المتشيع للاتحاديين والمتابع لعوراتهم والمعتدل في كلامه عنهم . وقد ذكرت على مسمع غير واحد من محرريها شيئاً من فضل الرجل الذي يعرفه كل الخواص في الأستانة فكتب بعضهم جملة صالحة ولكنني أرى الناس لا يزالون يتساءلون فأحببت أن أكتب في المنار كلمة أخرى في التعريف بهذا الرجل الذي يقل مثله في الرجال

اشتهر ان الانقلاب العثماني كان بتدبير جمعية الاتحاد والترقي في سلاطنتك ومناسرت وعرف الخاص والعام ان الانقلاب كان من عمل الجيش ، بهذا علا مقام كل ضابط عثماني ورفع اسم نيازي بك وانور بك على كل اسم ولكن خفي اسم صادق بك وهو أجدر بالظهور ، وصار كل من ينسب الى جمعية الاتحاد والترقي يفخر ويسمو بأنه رب الدستور وحاميه فزاحم على أبوابها طلاب الشهرة ورواد المنفعة وعباد القوة . واقض من حولها الكثيرون من العاملين الخالصين ، وانبرى لمعارضة حزبها في مجلس الأمة حزبان كان خيار رجالهما من الاتحاديين، ومن بقي في حزبها أزواج ثلاثة : - بعض الزعماء (كالبكوات رحمي وطلعت وجاويد) ومن استعذب مشربهم واذعن للسري والجهري من احكام جمعيتهم لانه يرى فيها رأيهم، وهم الاقلون، - وطلاب المنافع، واتباع كل ناعق ، و٣ المستقلون المحاصون الذين يرون ان بقاءهم في الجمعية خير من خروجهم منها وأرجى لتقويم عوجها

ورد في الحديث الشريف « ان لكل شيء شرة (١) » ولكل شرة فترة فان صاحبها

(١) الشرة بكسر التين وتشديد الراء الحدة والنشاط وهي ضد الفترة

(المجلد الرابع عشر)

(٣٤)

(المنار ج ٤)

٢٦٦ صادق بك - عمله في الانقلاب العثماني (المئارج ٤م ١٤)

سدد وقارب فارجوه ، وان اشير اليه بالاصابع فلا تعدوه » (رواه الترمذي بسند صحيح) وقد جرت سنة الله ان الشيء اذا كان في شرة إقباله يقبل الجمهور كل مدح فيه وان كان ظاهر البطلان ، ويرد كل انتقاد عليه وان كان كالشمس في رابعة النهار ، وكان يظن ان شرة إقبال الاتحاديين يطول ومنها فكذب الظن بسوء تصرف الزعماء وقلة كفائهم وبمجاورة بعض مقاصدهم لمصلحة الملكة ونفاليدها ولما تقتضيه طبيعة العصر في سياسة الشعوب المختلفة في الملل واللغات ، ولاستجالتهم في حب الظهور ، والاستتار بجميع الامور ، فاسددوا وما قاربوا ، وقد اشير اليهم بالاصابع فلم يلبثوا ان سقطوا ، وصدقت عليهم المحكمة النبوية في هذا الحديث الشريف

رفعت الامم اسم « الاتحاد والترقي » بعمل صادق بك الحفي وإخلاصه العظيم ، فتدفق الثناء على الاتحاديين في أنهار صحف الشرق والغرب حتى صار بحرا زاخرا طفت فوقه اسماء كثيرة فرآها الناس ساجدة في الثناء ، منها ماله قيمة كالفلك ومنها ماهو كالقضاء ، ورسب في قاعه اسم صادق بك كما رسب الدر في أعماق البحار ، فلم تهتف باسمه الجرائد ، ولم ينوه به في تلك الخطب والاعاني والقصائد ، كما نوه باسم نيازي وانور الذين كانا سيفين من سيوفه تحركهما يده العاملة وتصرفهما أوامره النافذة ، ألا إن صادق بك هو « قومندان » الانقلاب العثماني وموجد الدستور

واسأل عن ذلك كتاب (خاطرات نيازي) فهو يخبرك اليقين ، « ولا ينبئك مثل خير » فصادق بك اجدر رجال الدستور بالظهور واحقهم بالثناء وكلهم يعرف له هذا الفضل ولكنه هو الذي احب التحول وترفع عن الثناء والمكافأة على عمله من الجمعية أو الحكومة ، فهو الزعيم الذي لم يأخذ مالا ولا وساما حتى ان شوكت باشا رغب اليه ان يقبل يوم عيد الدستور من السنة الماضية وساما مرصفاً تقرر لإنعام السلطان به عليه فلم يقبل . زرت صاحباً لي من الاتحاديين قبل ذلك العيد يوم واحد فقال لي لو جئت قبل ربع ساعة لوجدت صادقاً هنا وقد اخبرني بكذا وكذا وذكر مسألة الوسام ومسائل أخرى

انني لما جئت الآستانة في عام ١٣٢٧ كان صادق بك لا يزال عميد الجمعية المسئول (أي رئيسها ويسمونه المرخص العام لان من نظامها أنه ليس لها رئيس ويشبه الخلاف ان يكون لفظياً) ولما عرضت مشروع الدعوة والارشاد (أو العلم والارشاد كما سميناه هناك) على الصدر الاعظم قال لي هذا مشروع نافع لا بد منه ولا يتم هنا شيء الا

(المارچ ١٤م ٢٦٧) صادق بك - رأيه في بقاء الدستور وحفظه

إذا رضيت به جمعية الاتحاد والترقي وسأكلهم صادق بك في المشروع ثم أخبرك هل يمكن تنفيذه أم لا ، ودعا حاجبه وقال له اذهب غدا الى صادق بك وقل له انني احب أن أراه . ثم أخبرني الصدر ان صادقا اقترح تأليف لجنيتين للبحث معي في المشروع إحداهما علمية دينية والاخرى سياسية إدارية ، وبرأيه تألفت اللجنتان وبعد البحث الطويل أقرتا المشروع فقال لي الصدر الاعظم ان المشروع قد تم نهائياً فألف الجمعية وتمال أخص لك المال اللازم للتنفيذ . وقد علم قراء المثار من قبل ان وزارة هذا الصدر (وهو حسين حلمي باشا) قد استقالت قبل أن يتم لنا تأليف الجمعية وازيدهم الآن ماهو المقصود هنا وهو ان صادق بك ترك العمل في الجمعية ولماذا ؟

كان من رأي صادق بك بعد أن استقر أمر الدستور وتألف مجلس الأمة ان تترك الجمعية للحكومة الحرية في عملها وتكتفي بالمراقبة عليها فلا تتعرض لشيء الا اذا رأت الدستور مهدداً بالزوال وقد اتفق مع محمود شوكت باشا على منع الضباط من الاشتغال بالسياسة ولما كان لامندوحة له عن الاستمرار في خدمة الجمعية عول على الاستقالة من الجيش ، وبعد هذا الاتفاق خطب محمود شوكت باشا خطبتيه الشهيرتين في الفيلق الاول بالآستانة والفيلق الثاني بادرنة ، وصرح في الخطبة الثانية بقوله ان أخانا صادق بك لما كان يريد البقاء في جمعية الاتحاد والترقي فسقدم لي استقالته ،

كان الذين تواطؤوا على الاستقلال بزمامة الجمعية والسيطرة على الحكومة قد استمالوا اليهم قبل هذا الاتفاق كثيراً من الضباط بضروب من الاستمالة فصار لهم عصبية منهم ولما صار طلعت بك ناظر الداخلية كان أقدر من غيره على هذه الاستمالة فأدخل في الوظائف الادارية كثيراً من الضباط وقد كنت مدعوا عنده في بعض الليالي فجاء اثنان منهم ونحن سامرون معه في الليل فكان الواحد منهم يجلس في مكانه ويسبب بمكتبه ويبحث في أوراقه ورأينا ان حديثه معنا قد تلجلج وان من حسن الذوق ان ننصرف ليخلو لهما وجهه ، وندع الحديث الى وقت آخر فاستأذنا وانصرفنا

كان ارتباط زعماء الجمعية بالضباط واشتغال الضباط بالسياسة من أعظم الاخطار التي تهدد الدولة وقد انتقدته الجرائد الاوربية بأشد عما انتقدت غيره من أعمال الجمعية بعد ظهور الخلل فيها ، وانتقده الجهم الفقير من الضباط كما سمعت باذني من بعض أركان الحرب منهم وعندهم حق كان يخشى ان يقع الشقاق في الجيش نفسه بالتنازع بين أنصارها والساخطين عليها من الضباط وقد وافق صادق بك محمود شوكت باشا على تلافي هذا الامر ولم يقدروا على تنفيذه بالفعل

٢٦٨ صادق بك - مضايقة رجال الأثرة من زعماء الاتحاد (الناشر ج ٤ م ١٤)

كتب صادق بك استقالته من الجيش وكتب مذكرة الجمعية المركزية اشترط فيها لبقائه عاملاً في الجمعية باسم المرخص أو المدير المسئول بشروطها منها أن يترك طلعت بك نظارة الداخلية وجاويد بك نظارة المالية واحمد رضا بك رئاسة المجلس لانه لا ينبغي على رأيه ان يكون زعماء الجمعية من رؤساء الحكومة لما لهم من القوة التي تمكنهم من الاستبداد، فكبر ذلك على هؤلاء الزعماء بعد أن مكثوا لاقتسامهم في الارض ورأوا أنهم صاروا في هذه الدولة هم الأئمة الوارثين ، وكان قد ظهر من رياستهم تنفير جميع العناصر العثمانية من اخوانهم الترك . وتقدم اليهود في نظارة المالية على غيرهم ، واعلاء كلمة الماسونية ، والاسراف في نشرها ، وتقديم المقدمين فيها على غيرهم في جميع المناصب والاعمال ، وجعل مقام الخلافة كالمجرد من كل سلطة وقوة كبرت شروط صادق بك على أولئك الزعماء فكانوا منها في أمر صريح لان ترك السلطة والدولة بعد التمكن منهما لا تسمح به النفس ، وغارقة صادق بك ليست بالأمر السهل ، فرأوا بعد الروية والتفكير أن يجتهد في اقناعه بالتنازل عن بعض تلك الشروط وأهمها عندهم ترك السلطة وحرية الحكومة بعدم سيطرة الجمعية عليها ، وقد بلغني يومئذ ممن أثق به من الاتحاديين ان طلعت بك قصد دار صادق بك غير مرة في الليل ولم يأذن له صادق ببقائه ، ولما رأى أنه لايسهل عليهم اجابته الى ما طلب وأنهم خائفون منه ان يحاول تنفيذ مطالبه بالقوة وعلم - كما قيل لي يومئذ - أنهم يراجعون من استمالوه من الضباط لتأييدهم، أنهم من اعتماده على السيف في ذلك لان هذا هو الذي ينكره ويخشاه فكيف يكون هو البادئ به ، وأنهم بانه يترك لهم جميعهم ويسترد استقالته من الجيش وكذلك فعل ، وكان هذا من آيات اخلاصه الكثيرة ترك لهم هذا الصادق كلاماً من الجمعية والحكومة فبعد ان قبلوا وزارة حسين حلمي باشا لانه لم يستطع الصبر على أن يكون آلة معدنية في يدي طلعت وجاويد جاؤا بمحقي بك فجعلوه صدرا والناس مختلفون فيه فظهر بعد الاختبار أنه أصبر الناس على ما لم يطق قبوله كامل باشا ولا الاستمرار عليه حسين حلمي باشا ، وثققت الخطوب من سياسة طلعت وجاويد حتى ضج مجلس الامة بالشكوى وبلغت أصوات المعارضين غنان السماء بعد ان ازعجت سكان الارض حتى اضطر طلعت بك الى الاستقالة من نظارة الداخلية فصوبت سهام المعارضة بعده الى جاويد بك خاصة والى رجال الوزارة عامة ، والى جاهد بك صاحب جريدة (طين) الذي هو المحامي عن جمعية الاتحاد والترقي بقلمه المسموم الذي سماه بعض أدباء الاستانة من الترك « سفيه القوم »

انني أقمت في الآستانة سنة كاملة، وقفت فيها على غوامض سياستها ومخبات صناديق أسرارها، ووردت في ذلك موارد قلما تيسر كلها لاحد، فقد عاشرت كثيرين من العلماء والوجهاء والادباء والضباط والمبعوثين والاعيان ورجال الحكومة وغيرهم ومنهم من لهم صلة بالامرة السلطانية، ومنهم الاتحادي وغير الاتحادي، وقد استفدت من مجموعهم الجزم بعدة مسائل أذكر منها مايفيد في هذا المقام :

(١) ان مولانا السلطان متبرم من القوم وغير راض من الحال العامة وينتظر ان تغيرها الحوادث الى احسن مما هي عليه، ولا أزيد على هذا في هذه المسألة

(٢) ان بعض زعماء جمعية الاتحاد والترقي يريدون ان تبقى الدولة في أيديهم يديرونها كما يقررون فيما بينهم بزمامي حزبهم في مجلس الامة ورجالهم في وزارات الباب العالي وسائر المصالح، ويؤيدهم في ذلك طائفة من ضباط الجيش

(٣) يجب على كل وزير أو رئيس عمل منهم أن ينفذ كل ما تقرره اللجنة العليا للجمعية في الحكومة

(٤) يديرون نظام حزبهم في المجلس بطريقة تجعل آله في أيدي من فيه من زعماء الجمعية كطامت بك ورحمي بك وجاويد بك و خليل بك ومن يليهم في النفوذ كجاهد بك واسماعيل حتي بك، فاذا اتفق هؤلاء مع لجنة سلايك على أمر جمعوا حزبهم لهذا كره فيه وهو متفق عليه بين الزعماء ومن يقيمون به قبل الاجتماع ممن يسهل إقناعهم، ومن نظام حزبهم أنه اذا أقر الثلثان من حاضري الجلسة فيه أمراً وجب على الباقيين اتباعهم بغير مناقشة فكان اذا حضر الجلسة ستون وهم نصف أعضاء الحزب واتفق أربعون منهم على المسألة تبعهم الباقي هم ١٢٠ فينفذ في المجلس على انه رأي أكثر أعضائه وانما هو رأي الاقلين من حزب واحد من أحزابه

(٥) ان هؤلاء الزعماء كلهم من شيعة الماسون يجتهدون في نشرها وجعل رجال الحكومة من أعضائها كما ينشرونها في ضباط الجيش وقد يكون هذا تمهيدا للفصل بين السياسة والدين وتجريد السلطان من صفة الخلافة الاسلامية

(٦) ان من لوازم تشييمهم للماسونية قوة نفوذ اليهود فيهم وفي الدولة وذلك يفضي الى فوز الجمعية الصهيونية في استعمار بلاد فلسطين الذي يراد به إعادة ملك اسرائيل الى وطنهم الاول، والى ابتلاع أصحاب الملايين من اليهود لكثير من خيرات البلاد

(٧) من أهم مقاصد هؤلاء الزعماء جعل السيادة والسلطة في المملكة العثمانية

للشعب التركي والتوسل بقوة الدولة الى إضفاف اللغة العربية واماتها في المملكة وتترك العرب مع إبنائهم ضغفاء بالجهل والضعف وذبذبة اللسان ، ومنع الالبانيين والاكراد من تدوين لغتهم وجعلها لغة علمية . وهذا من المقاصد السرية التي لا يعترفون بها على استعجالهم بتنفيذه بالعمل وبكتابة جريدة طين

من آثار هذه السياسة هذه الحرب الطحون في اليمن والبلاد الالبانية وقد كان من أسهل الامور تنفيذ الاصلاح المعقول في هذين القطرين في ظل السلام والامان قد وقفنا في الآستانة على كل هذا ورأينا أهل الرأي والفيرة من سكان هذه العاصمة يتوقعون الفتن ويخافون العواقب من سياسة هذا الرهط من زعماء الاتحاديين ولم أحب أن أشرح تلك الامور وأبين ما فيها من الخطر بل سميت الى الاصلاح هنالك ما استطعت فلم يقن نصحي لهم شيئاً ، ولما عدت الى مصر أشرت بلطف الى ما يخشى من خطر اليهود والماسونية في هذه المملكة الاسلامية ، وتركت الشرح والتفصيل ، والتشجيع والتقريع ، لانني لم أر ذلك من الحكمة

كان صادق بك كل هذه المدة بالرصاد يراقب الحوادث من بعد لا يحرك فيها قلاماً ولا لساناً ، ولا يجرد لها سيفاً ولا يشرع سناناً ، حتى اذا ما رأى قوة المعارضين للاتحاديين ووزارتهم من أحزاب المجلس قد عظمت ورأى ان أهل الاستقلال والانصاف من حزب الاتحاد نفسه متبرمون من الحكومة ومن تأييد أولئك الزعماء لها ومن سياستهم الماسونية ولوازمها - حتى إذا ما رأى ذلك خافه الصبر وعز عليه ان يدع الدستور الذي أخذ به بقوة يمينه والجمعية التي شرفها بعمله واخلاصه آلة في يد هؤلاء الرهط الذين لم يحسنوا التصرف ولم يقيموا الميزان ، فقد يده الى المستقلين المنصفين من حزب الاتحاد ، وبذل لهم مظاهرته فيما يقيمون به عوج أولئك الافراد ، ويحولون بينهم وبين الاستبداد ، ويصلحون ما حدث في الامة والدولة من الفساد ، فاشتدت عزائمهم ، وصاحوا في وجوه أولئك الزعماء تلك الصيحة المزعجة ، واقترحوا عليهم تلك الاقتراحات المنصفة ، فارفعت أصوات التأييد والتفديد ، فكانت أصوات طلاب الاصلاح أجهر ، وعددهم أكثر ، فأظهر الزعماء الرضا واجمين ، وذلت أعناقهم لها خاضعين ، ثم ولوا الى أنصارهم مدبرين ، ووجهوا الى ضباطهم مستصرين ، فاذا ليث الغاب ، قد انكشف عنه الحجاب ، ففرع حتي باشا الى مولانا السلطان ، وقال انه لا يكون في العاصمة صدران ، فاما قبول استقالي ، وإما دفع صادق بك بالتي ،

وأخراجه من المدينة، ريثما تعود إليها السكنية، فأوحى الى محمود شوكت باشا أن يخرج صادقا ففعل وما كاد ، ونبأنا البرق ان صادقا أبى أولا ثم أجاب
كان أول ما طرق مسامعنا في هذه الحادثة قول البرقيات العامة ان الامير ألي صادق بك (وذكرها بعضهم صديق) أبى ان يطيع الامر بالخروج فاستكبرت الامر، واستعظمت الخطب ، ورأيت الناس حولي غير مباليين ، فقلت ان هذا هو البلاء المبين، ولا بد ان نتنظر تفسيره الى حين ، فان الدولة لم يظهر فيها بعد الاقلاب الا رجلا ن عسكريان ، احدهما صادق بك موجد الدستور ، وثانيهما حامي بيضته وهو محمود شوكت باشا فاتح استانبول ، ولكل منهما مكانة في الجيش عظيمة فاننا تصادما وقع الخلل في الجيش وذهبت الثقة بالدولة ، ولا يعلم العاقبة الا الله تعالى، واني لأصدق ان صادقا الضابط المخلص الكامل يصي أمر رئيسه ، واحمد الله ان صادق ظني ، ولم تلبث البرقيات ان شهدت بصحة قلبي ، ثم جاءت صحف الآستانة ورسائلها بالتفصيل ، وعلى الله قصد السبيل ،

مطالب المصلحين في حزب الاتحاد

جاءت مطالب المصلحين مصدقة لجميع ما كنا علمناه في الآستانة من حقيقة ما عليه زعماء الاتحاد ومن تأثير سياستهم ، وقد حدثنا به خواص أصحابنا ، واشرنا الى المهم منه في المنار ، وهالك مطالبهم العشرة التي قرروها وأعلنوها

«١» ان لا يسعى المبعوثون الى الامتيازات والمناصب لانفسهم ولا لغيرهم

«٢» ان لا يقبل المبعوثون وظائف الحكومة وأعمالها

«٣» ان يكون قبول أحد المبعوثين نظارة من النظارات بقرار الثلثين من فرقة الأكثرية ويكون اعطاء الرأي بالطريقة السرية

«٤» ان يعتنى بتنفيذ القوانين وبالمراقبة على النظارات

«٥» ان يعتنى بمسئلة اتحاد العناصر (كما كان) وان يبذل الجهد في سبيل ترقى الزراعة والصناعة والتجارة والمعارف على نسبة الاحتياج

«٦» ان يحافظ على الآداب والاخلاق الصومية الدينية مع الاقتباس من المدنية الاوربية

«٧» ان يحافظ على عادات السلف ضمن دائرة القانون الاساسي

«٨» ان يجعل بقانون نصب وعزل عمال الحكومة الموظفين

٢٧٢ مطالب المصلحين من الحزب - فوائدها (المارج ٤ م ١٤)

«٩» ان يعدل في القانون الاساسي بعض المواد المتعلقة بحقوق الخلافة والسلطنة
«١٠» أن تقاوم مقاصد الجمعيات المؤسسية على السر .

كل مطلب من هذه المطالب حجة على الاتحاديين الذي كانوا يصفون جمعيتهم
بالجمعية المقدسة وعلتهم سياسة اولئك الرهط من الزعماء، دع أخذ الامتيازات والسيرة
لطلابها ، ودع التوسل بالمعوتية الى المناصب وهو ما يعيبون به غيرهم بالهمة ، ودع
عدم تنفيذهم القوانين والحكومة في أيديهم ، وحمايتهم للنظار ونصرهم على كل حال
ودع عدم وضعهم قانونا للعزل والنصب ليكون الامر كله تابعا لمشئته الافراد ، ودع
تفجيرهم عناصر الدولة كلها من الحكومة ومن الفئصر التركي الذي لا ذنب له سواهم ،
وتأمل مسألة المحافظة على الآداب والاخلاق الدينية وعادات السلف، فان اقتراحها
يدل على انه يراد بها درء مفاسدها أشد خطراً على الامة ولا سيما على الفئصر التركي
من جميع تلك المفاسد السياسية والادارية ، فانما الامة بمقوماتها ومشخصاتها من
المقائد والشعائر والآداب والاخلاق ، وقد كانت كلها عرضة للفساد ، يجعل الصلاة
في مدارس الحكومة ولا سيما الحربية امراً اختيارياً ، ومن إباحة تهتك النساء ، بل
الامر أعظم من ذلك فقد سمعت بأذني بعض الزعماء يجادل معصما من رفاقه الاتحاديين
فيما ترتقي به الامة ، فلمعهم يقول اتنا نرتقي بالمحافظة على آدابنا واخلاقنا وشعائرنا
وسائر مقومات حضارتنا الاسلامية وباقتباس الفنون والصناعات من اوربة ، والزعيم
يقول بل يجب ان نمشي وراء فرنسا في كل خطوة وتتبع سننها شبرا بشبر وذراعا
بذراع في الامور المادية والمعنوية جميعاً وان نصير رجال الدين عصراً الخ
ثم تأمل مسألة الخلافة الاسلامية والجمعيات السرية وتذكر مقاصد الماسون
في الحكومات ومقاصد الصهيونيين في فلسطين ، وقل رب احكم بالحق وانت
احكم الحاكمين



المسلمون والقبط

النبة السادسة

أنا نطلب حفظ حقوقنا لا إضاعة حق للقبط

إذا كنت أكتب لأجل إيذاء القبط أو التحريض على إيذائهم ، أو لأجل محض مدافعهم ، ومنعهم مما لا أراه حقاً لهم ، فلا حملت بنائي قلماً ، ولا حفظت كما أمرني الرسول صلى الله عليه وسلم ذمة ورحماً ، بل أشهد الله أنني لا أكتب إلا لأجل الخير والمصلحة دون الإيذاء والمفسدة . ولقوائد إيجابية . لا لأغراض سلبية . وإذا كان المؤتمر المصري مجتمع ليأتمر بسخطنة القبط في مطالبها فقط فلا خير في هذا المؤتمر وأجله أن يكون عمله سلبياً فقط

أنني منذ خبرت حال مصر رأيت أن للقبط روابط ملية . دون الرابطة العامة المصرية . بها يتعاونون ويتناصرون . وعليها يجتمعون ويتحدون . ولها يتعلمون ويتربون ، واليه يرجعون . فهم بها أمة كما يقولون . وليسوا عضواً من جسم الأمة المصرية إذا اشتكى عضو من سائر الأعضاء تألموا له . بل هم جسم تام مستقل بمقوماته ومشخصاته القومية . وإنما يتصل بما يجاوره ليتقذى منه ويمد حياته لا ليمده ويفذيه هذا ما رأيت عليه القبط فأكبرته وحمدتهم عليه .

ورأيت المسلمين على غير ذلك . رأيتهم يتخاذلون ويتفرقون ، ويمتنع غيرهم مادة حياتهم ولا يشعرون . تتعادي أحزابهم ويصفون أكثر التابعين فيهم بخيانة الأمة والوطن . وهو وصف لا ينطبق على أحد منهم وإنما عليهم الضعف واقتل سببه تخاذل أمتهم ، ليس لهم تربية ملية تجمعهم ، ولا وحدة في التعليم تضمهم ، وثروتهم عرضة للزوال باسرافهم لا يشعر بعضهم بمصائب بعض . وليس لمجموعهم شرابن ولا أوردة يكون به جسماً واحداً يمد بعض أعضائه بعضاً بالغذاء ودفع الأذى .

هذا ما رأيت عليه المسلمين وفيهم من النابغين ما ليس في القبط . ليس عندهم قضاة كقضاةنا . ولا محامون كمحامينا . ولا أداريون كآدارينا . ولا أطباء كطباطنا . ولا كتاب ككتابنا ولا شعراء كشعرائنا . أعني ان النابغين فينا أكثر وارقى من النابغين فيهم ، ولكنهم أرقى منا في الحياة المليّة ، والمقومات القومية ، التي يكون بها أفراد الشعب كالبنيان يشد بعضه بعضاً ، وكالجسم الواحد اذا اشتكى له عضو تداعى له سائر البدن بالحمى والسهر ، كما وردت الأحاديث في وصف المؤمنين ، وقد فقد المسلمون قوة هذه الصفات التي جعلها الله سردينهم وآية إيمانهم فلم يبق عندهم النابغون شيأ .

هذا التفاوت بين شعبين يشارك أحدهما الآخر في جميع مرافق الحياة تحذر عواقبه ، ولا تؤمن مغيبته ، أحدهما قوي بالائحاد والتكافل ، والآخر قوي بالكثرة ضعيف بالتخاذل ، دأب المتحددين الطمع في سلب مرافق المتخاذلين ، وبذلك ساد بعض الشعوب على بعض ، وكثيراً ما كانت الفئة القليلة ، هي التي تسود الفئة الكثيرة ، والطامع قد يوغل في حقوق الغافل بغير رفق ، والظفر في الإيغال قد يفضي الى العنف في الدفاع ، فيكون من ذلك ما لا خير فيه للبلاذ ، فاحببت منذ سنين أن أنبه المسلمين الى ما تصان به حقوقهم ، مع حفظ المودة بينهم وبين من يعيش معهم ، فكتبت في ذلك كثيراً ، ولكن المسلمين كانوا في شغل عن ذلك ، فيقل فيهم من قرأ ما كتبت ويقل فيمن قرأ من فهم ، ويقل فيمن فهم من اعتبر ، ويقل فيمن اعتبر من حدث غيره بما أصاب من العبرة . وهكذا شأن الغافلين المغرورين ينتهبون بالحوادث لا بالأحاديث اني مؤمن والمؤمن لا يأس من روح الله ، ولا يقطع من رحمة ربه ، ولو يئست من حياة المسلمين لما رأيت شيئاً من الخطر على البلاد في استمرار غفلتهم ، الى أن تصير وظائف الحكومة وثروة البلاد في غير أيديهم ، سواء أوغلت القبط في ذلك برفق أو بصف ، فان الامراض التي تموت بها الامم تكون كداء السكته يذهب بحياة المرء وهو لا يشعر بأنه يموت . ولكنني أعتقد ان في مسلمي مصر حياة ضعيفة لم تصل الى درجة التكافل والتضامن ، وان الخير في قوتها بالدعوة الى حفظ المصالح ، لا بالدعوة الى دفاع المهاجم ، وان هذا لا يكون الا قبل أن يغلبوا على مصالحهم ، ويروا أنفسهم مسخرين لمن كانوا دونهم ، يومئذ يخشى أن لا يروا في أيديهم الاسلحة الكثيرة فيستعملونه للضرورة فيما يضر البلاد من الاعتصابات والفتن ، قتلا في ما يخشى في المستقبل مذ الآن ، هو الذي يحتملنا على هذا اليان .

ما رأيت استحساناً مما لشيء نشر في الجرائد بعد رد الاستاذ الامام على هاتوت

كاستحسان ما كتبه في هذه الايام من المقابلة بين المسلمين والقبط . يذكر لي لك كل من أراه . وكتب الي والى المؤيد غير واحد يشكرون لي ذلك ويطلبون المزيد منه ، أذكر هذا تمهيداً لقول بعض هؤلاء الحامدين الشاكرين : لماذا لم تنبها من غفلتنا بمثل هذه المقالات قبل اليوم؟ ول هؤلاء أقول اني قد فعلت وقلما قررت حقيقة في هذه الايام الا وقد يتهم من قبل في النار أو في بعض الجرائد اليومية . ولكن المسلمين كانوا في غمرة ساهين ، لا يعنون بما يكتب ولا يحفلون به الا ما يكون عند الحوادث المؤلمة ، والصيحات المزعجة ، ثم لا يلبثون أن ينسوا ويعودوا الى سابق لهُوهم وسهُوهم ، حتى خشيت أن تكون كما قال شاعرنا من قبل في مثله الذي يشبها فيه بالغم الراحية تظل غافلة متهايدة في رعيها حتى اذا ما سمعت نبأه صائح رُباع ورفع رؤوسها تاركة الارتماء فاذا سكّت الصائح طادت الى سابق شأنها أعني بهذا قول ابن دريد في مقصورته نحن ولا كفران لله كما قد قيل في السارب اخلي قارتي اذا أحس نبأه ريع وان تطامنت عنه تمادى ولها

صاحت القبط منذ ثلاث سنين مثل صيحتهم في هذه السنة فكتبت مقالة في النوار عنوانها (المسلمون والقبط) كان لها باعتماد الرأي والادب في العبارة أحسن الوقع فنقلها بعض أصحاب الجرائد اليومية ولخصها بعض آخر ، فلم تلبث القبط أن سكّنت صيحتها ، وسكنت في الظاهر دون الباطن ثورتها ، فَنسي المسلمون ما كان ، حتى تجددت الصيحة في هذا العام ، بأقوى وادوم مما كان في سابق الاعوام افتتحت تلك المقالة بهذه الجملة :

« سبق لنا قول في هاتين الطائفتين بمصر يتنا فيه أن المسلمين من حيث هم أفراد أرقى من القبط في كل علم ، وأن القبط من حيث الاجتماع والتعاقد المالي أقوى من المسلمين ، فلمهم مجلس ملي وجمعيات وجرائد دينية تبحث دائماً في مصالحهم العامة من حيث هم قبط ، وهم يتعاونون ويتحدون في المصالح . وهذا ما حمدتهم واحمدهم عليه وأتمنى لو يوفق المسلمون مثله ، وان كنت أعلم أنه لو أنشأ المسلمون جمعية للرابطة الاسلامية كجمعية الرابطة المسيحية لما وجدوا في القبط مثل احمد بك زكي يقوم فيها خطيباً ويجعل عنوان خطابه « مصريون قبل كل شيء » بل يخشى ان يقوموا كما تقوم أوربة ويقول الجميع ان المسلمين في مصر يحبون التعصب الاسلامي والجامعة الاسلامية ويدعون الى ارتباط بعضهم ببعض لمقاومة النصارى في مصر بل في جميع الارض » ثم بينت نسبة القبط الى المسلمين في العدد وفي أعمال الحكومة وأنهم أكثر فيها من

٢٧٦ تهمة القبط للمسلمين بالتعصب والتبجح عليهم (المار ج ٤ م ١٤)

المسلمين ، وهم يدعون على ذلك أنهم مظلومون مهضومون ، ويطلبون لأنفسهم سائر أعمال الحكومة التي في أيدي المسلمين ، وأنهم يسمون أنفسهم أهل البلاد ، ويدلون ويفخرون على المسلمين بالانتساب إلى آل فرعون ذي الارتاد ، الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد ، ويجهرون بأن المسلم فيها أجنبي محتل ، وأتأوي معمد ، وينكرون أن يكون للمسلمين فيها حق من حيث هم مسلمون فاحبون ، على ادعائهم الحقوق فيها من حيث هم قبط مسيحيون ، وينت فيها موائبهم للمسلمين من أخصف جانب يرونه فيهم ، وهو تهيج الانكليز وسائر الأوربيين عليهم تهمة التعصب الإسلامي ، وكون هذه الموائبة قد تفضي إلى ندم المسلمين على ما قاموا به من دعوة الوطنية واعتقاد أنها كانت خسارة عليهم وربحاً وفوزاً للقبط ، وأنهم إذا خسروا مودة المسلمين فلا يمكن أن يجدوا عوضاً خيراً منها فانهم لا يقدرون على استقلال أرضهم بعد ذلك

وينت هناك أن القبط لا يمتازون على غيرهم من نصارى المصريين ويهودهم وإنما ميزهم المسلمون عناية بهم ، وبحث في دين الحكومة الرسمي وذكرت مساعدة بعض رجال الدين من الانكليز لهم ، وأن المساواة التي يطلبونها هي امتياز على المسلمين من وجه آخر

نصحت للقبط في تلك المقالة نصيحة لو عقلوها وعملوا بها ، لما وقعوا في السيئة التي ندموا الآن أن اجترحوها ، وقد سبني في هذه الأيام كتابهم في جرائمهم ولو غفلوا قولي لاستبدلوا التناء بالهجاء ، فقد ينت لهم الآن كما ينت لهم من قبل ان المسلمين يقلب عليهم النسيان والتواكل ، وأنه لا شيء يحول دون سلب القبط منهم كل ما في أيديهم الا هذه الجمعية بالقبطية والمسيحية ، التي تدفعهم بالرغم منهم لمقابلتها بالجنسية الاسلامية ، وهذا نص نصيحتي لهم منذ ثلاث سنين :

« فالرأي عندي للقبط ان لا يفتروا بترجييع بعض الجرائد الافرنجية لاصواتهم في الشكوى من المسلمين والقول بتعصبهم ولا من مرور بعض الانكليز به — ان كان ما قيل حقاً — فانهم مهما أصابوا من تعصيد في مشاقة المسلمين فهو لا يكون خلقاً صالحاً لمودتهم فيما أرى . فأصح لهم ان يتوبوا عما فعلوا ويعتذر واعنه ويعودوا الى سابق شأنهم ، أو الى خير منه ان استطاعوا . والمسلمون تقلب عليهم سلامة التليب ولا يلبثون ان ينفروا لهم ، وينسوا ما كان منهم ، ففي حديث أبي هريرة عند أبي داود والترمذي « المؤمن غر كريم » أي ليس بذي نكر ولا مكر ولا خداع . ولولا أنني أحب الوفاق لما نصحت لهم بهذا فاني أعلم ان هذه المشاقة لا تزيد المسلمين

الا قوة في رابطتهم الاسلامية التي أدعو اليها ، وحفظ الحقوق التي اثار عليها ، ولكنني أفضل ان يكون تنبيهي لهم بغير هذا :

« احب ان يعتصموا بحبل الله جميعا ولا يفرقوا ، وان يكونوا مع ذلك على وفاق ووئام مع من يعيش معهم ، وانصح للمسلمين ان لا يكتبوا شيئا في الرد على القبط ، ولو لم يكتبوا في الماضي ما كتبوا لكان خيرا لهم واحسن اطفاء لتلك الفتنة وخذلا تأملو قضيها . ولكن لا بأس ببيان عدد الموظفين منهم في كل مديرية ، وذكر الوقائع في تمصب بعضهم لبعض ، وتعاونهم المالي المحض ، من باب بيان الحقيقة والاعتبار بها ، بشرط أن يتحرى الصحيح ، ولا تمزج الرواية بشيء من التأنيب والتجريح ، فضلا عن الهجر والتقييح »

لم تعمل القبط بهذه النصيحة لاعتقادها أن المسلمين قد قضي عليهم ، وانهم أمسوا مشلولين لا حراك بهم ، وزادها غرورا ان رأيت المسلمين نسوا تلك الغارة الشعواء ولم يأخذوا حذرهم من مثلها ، ولا سمعوا نصيحتي باحصاء الموظفين ، لبيان أن القبط غابنون غير مغبونين ، فهاهم أولاء قد استدركوا في هذه المرة ما فاتهم في الغارة ، فكانت كرة القبط كرة خاسرة

اني على تنبيهي للمسلمين وحرصني على حفظ مصالحهم ومرافقهم ورغبتي في ترقيةهم ، أجري على ما تعودت من المحافظة على مودة كل من يعيش معهم ، ويشاركهم في أوطانهم ، ولهذا قلت اني أحب نصحتهم بغير هذه الوسيلة ولذلك أشرت عند الحركة الاولى الى ما يسكناء ، وقد سكنت وابت القبط الا أن تعود الى تحريكها ، وثبت لنا ان المسلمين لا يتنبهون الا بمثل هذه الصيحات المنكرة في وجوههم

نسبت قبل هذا على النسبة بين المسلمين والقبط في مصر وبينهم وبين غيرهم في الاقطار الاخرى مقالات اجتماعية شخضت الحال تشخيصاً وذكرت بما يجب تذكيراً . واني للفاصل الذكري ؟ كتبت في الجزء الاول من مجلد المنار الثامن الذي صدر في المحرم سنة ١٣٢٣ (مارس سنة ١٩٠٥) مقالا عنوانه (حياة الامم وموتها) عرفت فيه حياة الامة بانها أر روح يسري في أفرادها فيشمرهم بان مكان كل واحد منهم من مجموع الامة مكان أحد أعضائه من جسده فهو يلاحظ في كل عمل منفعة نفسه ومنفعة امته مما كما ان عمل كل عضو في البدن يكون سبب حفظ حياته من حيث هو سبب لحفظ حياة البدن كله » وقارنت بين حياة الافراد وحياة الامم وبين حياة الاجسام وحياة النفوس وضربت المثل لامة تموت بالوارث المسرف ، ولامة تحيا بالتاجر المقصد ،

ذلك ينقص ماله الكثير كل يوم، وهذا يزداد ماله القليل كل يوم . وأول ما يخطر في بال المصري في هذا المقام ورثة شريف باشا واجراؤهم وخدمهم من القبط، أولئك أضاعوا ثروتهم الواسعة فصاروا فقراء، وهؤلاء امتصوا تلك الثروة فصاروا أغنياء

قلت في تلك المقالة « معرفة شؤون الأمم والشعوب ، أخفى على الأكثرين من معرفة حال الأفراد والبيوت ، فكلم من جاهل بفضل أمة على أخرى لأنها أصح ديناً وأعدل شريعة ، أو لأنها أشرف أرومة ، وأعرق في المجد جرئومة ، أو لأن تراثها من سلفها أكثر ، ومزاياها الجنسية اشهر ، أو لأنها أكثر عدداً ومدداً ، وأعز عشيرة وقرراً ، وإذا صح ان يكون هذا كله أو بعضه للأمة التي تموت زمناً من الأزمان . فانه لا يبقى الا ريثما تصل بها أمة حية ، فترى هذه تمتص جميع مزايا تلك ومقوماتها الحيوية ، وتلك تحمل آفات هذه وعلاها البشرية ، حتى تكون احداها في عليين ، والاخرى في أسفل سافلين

« يسهل على القارئ في الشرق القريب أن ينظر فيما بين يديه من الشعوب التي تضمها جنسية سياسية أو لغوية ، وتفصل بينها روابط نسبية أو مليية ، فانه يرى شعبين يمتاز أحدهما بكثرة العدد وكثرة المال ، وقوة الحكم وقوة العلم ، ثم يجد نفسه تفضل قليل المزايا منهما على كثيرها . لانه يرى الشعب الكثير المزايا يتمزق ويتفرق فتذهب مزاياه بذهاب الاعوام ، والشعب القليل المزايا ينمو ويسمو ويجمع ويتألف فيعتز ويشرف باقبال الايام ، يرى الشعب الكبير يتخاذل فيتضاءل ، والشعب الصغير يتلاهم ويتعاطم ، وما ذلك الا أن في أحدهما نسمة حياة تدفع عنه الاعراض الضارة بالشعوب فيقوى ويزكو ، وتغذيه كل يوم بغذاء جديد فينمو ويسمو ، وليس في الآخر شيء من هذه الحياة فهو كجسم العاشق يذوب ويضمحل ، ويحقر ويذل »

ثم بعد مقارنة أخرى بين شعبين يحيا الكبير منهما ويموت الصغير قدت وأي من يجعل للصغر والكبر دخلاً في الحياة والاتحاد بما فيه :

« لا يفرنك ما ترى من آيات الحياة في أمة تقطعت روابطها ، وانفصمت عروة الثقة بين أفرادها ، وبغض اليها النظام ، وفقدت التلاحم والائتام ، وان كان ما نراه أخلاقاً كريمة ، ومعارف صحيحة ، وثروة واسعة ، وسلطة نافذة ، مع العلم بأن هذه الاشياء كلها هي آثار الحياة توجد بوجودها وتذهب لذهابها ، فقد يكون ذلك من بقايا اوث قديم ، يعبت به الفساد الحديث ، الا أن ترى العلم والاخلاق تقرب البعيد ، وتجمع الشتيت ، وتزيد في الثقة بين الناس ، وتدعو الى التعاون على البر والاحسان ، وترى الثروة

(المارچ ١٤) الحكومة المصرية إسلامية ٢٧٩

تجمع مع ملاحظة مصلحة الامة وينفق جزء منها على المنافع العامة » الخ
وقد كتبت في تلك السنة (١٣٢٣) مقالة أخرى عنوانها « المسلمون والقبط
أو - آية الموت وآية الحياة » كان سببها ما كتبه المؤيد وكتبته جريدة الوطن في
مسألة « التعليم الديني والحكومة » وما طلبه القبط من مساواتهم بالمسلمين فيما يشترط
في إعفاء حفاظ القرآن من خدمة العسكرية ، وذكر في هامشها اني « طالما عازمت
على كتابة مقالات في المقابلة بين مسلمي مصر وقبطها وبين المسلمين والنصارى عامة
ثم أرجأتها » وسبب الأرجاء انتظار القرص التي تنبه الأذهان الى ما يكتبه النفوس
الى العبرة به

وجملة القول اتنا نرى ان القبط يطلبون ما ليس بحق شرعي لهم وانما يطلبونه
بقوة الاتحاد المالي وضعف المسلمين ونحاذلهم ونزي المسلمين تضع حقوقهم الشرعية
وهم غافلون . ونرى ان القبط قد أيقظوا المسلمين ونبهوهم قبل الوصول الى حد
اليأس الذي تخشى طاقته . ونرى ان يان حق كل ذي حق ومكان كل من الآخر
هو الذي يمكن أن يبنى عليه الصلح الثابت ، والوفاق الدائم ، وسنين في النبذة التالية
مكان كل من هذه الحكومة وهل هي حكومة اسلامية أم لا

النبذة السابعة

هل الحكومة المصرية اسلامية أم لا

اني بحثت وأبحث في مقالي هذا عن الحقيقة الكائنة لاعتن الرغبة التي أحب أن
تكون ، والمائل هو الذي يجب جلاء الحقائق ، وبيان الواقع الكائن ، ويستفيد منه
عبرة ، ويزداد بصيرة ، فيسلك الى مقاصده في طريق النور لا طريق الظلمة . ولوتدبرت
القبط هذا لكفأتني جرائدها بالحمد والشكر ، لا بما جاءت به من السب والهجر .

من هذه الحقائق التي أينما في هذه النبذة وقد أشرت اليها من قبل ان المسلمين
يعدون أنفسهم أمة جنسيتها الاسلام وأنه يجب أن يكون لهم حكومة اسلامية . وان
جنسيتهم هذه واسعة عادلة لا تفرق في العدل بين المسلم وغيره . وذات سماحة وحرية
لا تمنع أهلها أن يشاركوا غيرهم فيها وفي جميع مرافق الحياة . كما ولوا القبط في القديم
والحديث الى هذا اليوم أ كثر أعمالهم في الحكومة وكذا في عقارهم وأرضهم وأوقافهم

٢٨٠ تسامح المسلمين وطمع القبط فيهم (المارج ٤ م ١٤)

بالغوا في التسامح وأمر فوا في الجود والسباحة في أيام قوتهم وقنعوا من السلطة باسم السيادة وكونهم هم المعطين وغيرهم هو المعطى حتى إذا ما حل بهم الضعف صار ما أعطوه لاجانب حقوقاً وامتيازات يستعملون بها عليهم ويزيدون فيها بقوتهم ماشاءوا ، ويفسرونها كما أرادوا . وقد كان هذا بتكافل الدول القوية واتحادها بالتدريج فأذاقوا المسلمين مرارة قهرهم لقمة بعد لقمة ، وجرة في إثر جرة ، فتجرعوه كارهين مكرهين ، كما بذلوه من قبل واضين مرضيين .

أرادت القبط أن تقيس نفسها على الدول الكبرى فتسمى ما سمح لها به المسلمون حقوقاً واجبة وتزيد فيها ما تشاء ، فأنشأت تطلب لنفسها الزيادة فيما سمته حقوقاً وإزالة ما بقي للمسلمين من امتياز إسلامي بمشاركتها لهم فيه . وقد كان هذا مما يسفه المسلمون المساكين جرة بعد جرة كما أساغوا تلك الامتيازات مع الاعتراف لهم بأن الحكومة حكومتهم . ولكن أبت جرائد القبط ومؤتمر القبط إلا أن تنازع المسلمين اسم السلطة كما نازعتهم معناها . وإنما لا حدى السكبر التي لم يئن للمسلمين في مصر أن يسفوها مختارين مضت سنة الله في أهل السيادة الذين يضعون سيادتهم بسوء تصرفهم أن يكون آخر ما يهتمون به الأسماء واللقاب والرسوم والشارات الظاهرة كما هو معروف في تاريخ الشرق والغرب

دع ذكر ملوك الطوائف وأمراء المسلمين من الأندلس إلى فارس والهند واعتبر بحال أمراء جبل لبنان من مساحي الشيعة تجدهم في آخر عهدهم ، بعد أن ملكت النصارى حتى من خدمهم وأجرائهم معظم ما كان لهم ، كانوا يقنعون من الامتياز باللقب ولبس الاحذية الحمراء التي كانت خاصة بهم من دون الفلاحين حتى كان الشيخ منهم يكون له الحقل أو الكرم الواحد من الأرض والمقار فيهدي إليه الفلاح النصراني حذاء أحمر (جزمة) ويظهر له أنه جيء به فلم يرد أن يلبسه تأدباً معه ، فيهبه الشيخ أياه وربما كان آخر ما يملكه

أصاب القبط موضع التأثير من قلوب المسلمين بقولها إن حكومة مصر ليست إسلامية (أو حركت الوتر الحساس من نفوسهم كما تقول الأفرنج) وقد جعل هذه الدعوى خطيبهم في مؤتمر أسبوط قضية مسلمة فحمد الله وحمد نية المصريين أن كان الذين يقولون منهم أن هذا البلد إسلامي لا يتجاوزون عدداً صابح وهذا الطغف ما قالوه في هذا الباب لأنهم قالوه بعد العلم بأن المسلمين تألموا من مؤتمرهم وعزموا على إنشاء مؤتمر إسلامي

نعم ان المسلمين مفتونون بالحكومة في كل مكان ، وهذا هو الواقع وان أضر بهم في هذا الزمان ، فانه صرفهم عن ترقية أنفسهم ، والاعتماد على استعدادهم ومواهبهم ، ألم تروا ان المسلمين بمصر قد أهملوا امر الأمة وتركوا للمرايين والمقاسرين والقوادين والجارين يغتالون ثروتها ، ويحجون على دينها وعرضها وصحتها ، وجعل اصحاب الجرائد وغيرهم من المتصدين والمتصدرين للامور العامة يجاهدون الحكومة والاحتلال المسيطر عليها ، وقد ترك الامة حريتها تعمل ما تشاء فلم تعمل شيئاً يذكر ، ولماذا ؟ لان الزعماء شغلوا بفتنة السلطة عن نفسها حتى انهم كانوا يعدون من يحب ان يكون هم الامة الاكبر في ترقية نفسها بالتعليم والترية والثروة خائناً للامة خادماً للاحتلال ، لان الواجب عندهم قبل كل شيء هو ازالة الاحتلال ثم اصلاح الامة بالحكومة المستقلة مقاومة الاحتلال بالسهل الممكن وهو الكلام طبعي لا اعتراض عليه ، والاعتقاد على الحكومة - والحرية واسعة - طبعي لا بد منه ، وانما المتقصد هو جعل المسلمين همهم كله في ذلك ، واهملهم امر رية الامة وتكوينها ، وقد سلم من هذا الاعتقاد القبط فكوتوا أنفسهم حتى صاروا على قتلهم يقولون « الامة القبطية » بحق ، وانما أخطؤا أخيراً بما نازعوا المسلمين في شكل الحكومة وتصريحهم بأنها غير اسلامية الحق الواقع ان جمهور المسلمين يرون ان حكومة مصر اسلامية وشعورهم في هذا رقيق جداً يجرحه القول اللطيف ولهذا كان لورد كرومر وهو ذلك الشجاع الجبار يتحاشى ان يلمس أي شيء له علاقة بالدين ، وهذه هي سنة السياسة عند الفحول المقربين من أهلها ، وعليها جري الكثيرون في ابقاء بعض امراء المسلمين في البلاد التي ملك الافرنج أمرها كله كسلاطين جزائر جاوه وباي تونس وبعض الثواب في الهند لتوهم العامة ان حكامها من أبناء دينها هذا هو شعور الجماهير واني لأعرف من المسلمين من يرى أن الخير للمسلمين أن تعلن هذه الحكومة رسمياً انها غير اسلامية وان تترك للمسلمين جميع شؤونهم المالية يديرونها بأنفسهم كما تركت مثل ذلك للقبط وغيرهم كالحاكم الشرعية والاقواف والمعاهد الدينية كلها

بري هؤلاء ان هذا الاعلان اذا حصل يذهب بفرور المسلمين بهذه الحكومة التي لاحظ لهم من عنايتها ، ويبدلهم من بعد اتكاهم استقلالاً واعتماداً على عملهم ، ومن بعد كسلهم نشاطاً واقداماً على ترقية أنفسهم ، حتى اذا ما ارتقوا وتكونوا بتوحيد (المنار ج ٤) (٣٦) (المجلد الرابع عشر)

التربية المالية والتعليم الحر صاروا أمة واحدة تكون حكومتهم تابعة للرأي العام المستقل في الأمة لان هذه هي عاقبة جميع الامم المرقية

تقول القبط ان هذه الحكومة مصرية لاسلامية وحاكمها العام حاكم مدني لا حاكم ديني . وقد يحتاج من يرى هذا بأنها تشريع مالم يشعه الاسلام من القوانين وتبيح مالم يحبه من الفسق . وقد يرد عليهم الجمهور بأن خطأ الحكومة في هذه المسائل خطأ الافراد فكما يخالف افراد المسلمين هداية دينهم فيزنون ويسكرون ، يخالف حكومتهم هذه الهداية فلا تمنع الزنا والسكر . وحكم الفقه ان المصيبة لا تخرج صاحبها من الاسلام الا اذا جحد تحريمها وكان مجمعا عليه معلوما من الدين بالضرورة . وكما تكون الأمة يكون أولياء أمورها لانهم منها . وقد عرض لهذه الحكومة من سلطة الاجانب ما جعلها غير مختارة ولا مستقلة في كل شيء اسلامي لكن السلطة الاجنبية لم تمنح منها كل ما هو اسلامي

اذا كانت هذه الحكومة غير اسلامية فلماذا تستولي على مال من يموت من المسلمين عن غير وارث ، ولا تستولي على مال من لا وارث له من القبط وغيرهم من النصارى واليهود

اذا كانت هذه الحكومة غير اسلامية فلماذا تتولى هي القضاء الشرعي الاسلامي في الاحكام الشخصية وتدع مثل ذلك لغير المسلمين يحكمون فيه بما يعتقدون ، ان القاضي الاكبر الذي يتولى السلطة الشرعية العليا من قبل خليفة المسلمين يحكم بين الناس بمذهب الخليفة والامير وكذلك سائر القضاة . ولا يحكم أحد منهم بين المتخاصمين بأحكام المذهب الذي يتقلدونه بل جعلوا قضاء مصر خفياً محضاً كالقضاء في بلاد الترك الخفية ، واهل مصر شافعية ومالكية الا القليل

اذا كانت هذه الحكومة غير اسلامية فلماذا لا تترك للمسلمين أوقافهم كما تركت للقبط وغيرهم أوقافهم ، فاذا كان الحديو كما تقول القبط حاكما مدنيا فقط ونسبة المسلمين والقبط اليه من حيث هو حاكم واحدة فهل يرضون بكل ما يتفرع على هذا الاصل ويجعلون له الحق أن يعطي من أوقاف القبط للمنافع المشتركة (كالجامعة المصرية) كما يعطي من أوقاف المسلمين

اذا كانت هذه الحكومة غير اسلامية فلماذا تضع هي القوانين للمعاهد الدينية التعليمية كالازهر وغيره من جوامع العلم الديني وتولي هي المشايخ عليه ومشايخ المذاهب وترفع بعضهم في الرتب العلمية الدينية على بعض . ولماذا تولي أئمة الصلاوة وخطباء

الجمعة ولا ترى لها مثل هذا الحق في معاهد الديانة النصرانية من الاديوار والكنائس وقسوسها ورهبانها وسائر رجال دينها وانما تكفي بعض الرسوم الدالة على ان هذه الديانة من الديانات التي أقرتها الحكومة في بلادها ولها عليها حق الحماية وحفظ الحرية الدينية . وليس لكل أهل دين هذا الحق في كل حكومة فالباية ليس لهم حقوق دينية في بلاد الدولة العثمانية كالتصاري مثلاً

اذا كانت هذه الحكومة غير اسلامية فلماذا ترك العمل في الاعياد الدينية الاسلامية وتحفل بها احتفالاً رسمياً كما تحفل بالمولد النبوي الشريف دون اعياد القبط وغيرهم ودون مولد سيدنا عيسى عليه السلام ومثل ذلك الاحتفال بمحمل الحج وكسوة الكعبة المعظمة

لست أعني بهذه الامثلة والشواهد انها كلها من الفرائض أو السنن في أصل الاسلام ، أو من الاحكام التي فرضها الدين على الحكام ، فالصحابة والتابعون والائمة المجتهدون لم يحتفلوا بذكرى المولد ولا المعراج كما تحفل الحكومات الاسلامية الآن وإنما أعني أن هذه الخصائص من آثار كون الحكومة اسلامية

تريد القبط أن تمحو هذه الخصائص ومن وسائلها الى ذلك طلب ترك العمل في يوم الاحد وطلب جعل أموال الحكومة المصرية شرعاً بينهم وبين المسلمين لا ينفق شيء منها في مصلحة اسلامية ، الا وينفق مثله في مصلحة قبطية ، وهذا أصل عام يتفرع منه اذا قبل محو جميع خصائص المسلمين في هذه الحكومة . ونحتاج القبط على حقيقة هذا الطلب بأن هذه الحكومة مصرية لا اسلامية فهذا هو الأصل عندها فاذا قبلته الحكومة ترقب عليه ما طلبوا أو أكثر مما طلبوا من الفروع

واذا محصنا المسألة وبيننا حقيقتها ترى ان المطلوب هو اخراج هذه الحكومة عن كونها اسلامية بازالة كل اختصاص للمسلمين فيها ولكن أبوا أن يعترفوا بهذا الأصل ويطلبوا هدمه ورجحوا ان يهدم بهدم ما بني عليه . وهذا من الدهاء والحكمة لأن طلب ابطال الفروع أخف على النفوس من طلب ابطال الاصول فانه من قيل الدعوى بالدليل ، ولان من اعترف بالأصل لزمه الاعتراف بالفروع . فما جروا عليه هو الاقوى والانع لهم وهو أشد على المسلمين في باطنه وحقيقته ، وأخف في ظاهره وصورته .

ان الدولة العثمانية أمّ الحكومة المصرية واقفة أمام مثل هذه المسألة في بلادها . فقد قام التصاري بعد الدستور يطالبون بنحو ما تطالب به القبط . ولكنهم لا يزالون

٢٨٤ الحكومة العثمانية إسلامية . النصارى والسلطة (المراجع ٤ م ١٤)

يخفون أكثر مما يظهرون، وليس موضوع كلامي أبداء رأي أو ميل في تخطيط هذا أو ذاك ولا تصويبه وإنما رأيت الأمر غمة على المسلمين والنصارى كافة وما رأيت أحداً يتجراً على بيان الواقع فأحبت أن أبينه كما هو لا كما يجب أن يكون

الواقع ان الحكومة العثمانية حكومة اسلامية قبل الدستور وبعده وان الحكومة المصرية مثلها وتابعة لها في كونها اسلامية وانما تختلف في شيء واحد وهو انها مستقلة في ادارتها الداخلية بعهد (فرمان) من السلاطين . وان الاحتلال الاجنبي مسيطر عليها . وقد صرح القانون الاساسي للدولة بأن دينها الرسمي هو الاسلام وأن سلطانها هو خليفة المسلمين . والدين في حكومتها أظهر منه في الحكومة المصرية التي هي تحت سيادتها . فان شيخ الاسلام هناك هو العضو الاول في مجلس النظار وباب المشيخة الاسلامية من أكبر نظارتها . واذا تناقش مجلس الامة من المبعوثين أو الاعيان في مسألة وقال أحد منهم انها مخالفة للدين لا يستطيع أحد أن يقول لاضرر في ذلك بل يدفعون ذلك بعدم التسليم له فلو كان جميع المبعوثين من المسلمين عالمين بالشرع الاسلامي وأرادوا أن يطبقوا جميع القوانين على أحكامه لفعّلوا بلا معارض

هذا هو الواقع هنا وهناك وهو يثقل على القبط وسائر النصارى وان كان انجيلهم يأمرهم أن يخضعوا لكل حاكم، وان يعطوا مالى قصر لقيصر، وما لله لله ، ويفخرون بأن دينهم فصل بذلك بين الدين والحكومة ، ولكنه لا يثقل على اليهود الجامع كتابهم بين الدين والحكومة ، بل يكتفي هؤلاء من الحكومة بأن تمنحهم الحرية في دينهم وكسبهم ، وقد وجدوا من هذه الحرية في بلاد المسلمين أيام قوتهم وأيام ضعفهم ما لم يجدوه في بلاد أخرى في الحالتين

النصارى أحرص الناس على السلطة والحكم وللترية الافرنجية في نفوسهم تأثير عظيم في ذلك فهم لا يرضون من الحكومتين العثمانية والمصرية تمام الرضى الا بالانسلاخ التام من الاسلاميه ، ولكن هذا الانسلاخ مما لا يستطيع الا بالتدرج البطيء في الزمن الطويل ، فان الاشخاص والاقوام والحكومات تتكون كطبقات الارض بفعل الزمن الطويل وما كان كذلك لا يمكن تغييره دفعة واحدة كما قلنا ولهذا ينت من قبل أن القبط قد استعجلوا في أمر كانت لهم فيه أناة ومنعهم بفضهم للعرب أن يهتدوا فيه بحكمة شاعرهم التي سيرها مثلاً وهي .

قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل

قلت هذا لأن ما يطلبونه واخوانهم من سلخ الحكومتين من الاسلاميه لا يمكن

أن يحصل الا بالتدرج وبموافقة المسلمين لهم عليه . وقد وجد من المسلمين الجغرافيين (أي الذين يعدون من المسلمين في احصاء الجغرافية وان لم يعرفوا ماهو الاسلام) من يرون هذا الرأي ، ويسعون هذا السعي ، بالدعوة الى حل الرابطة الاسلاميه ، والاستعاضة عنها بالرابطة الوطنية أو الجنسية. وقد صار لاصحاب هذا الرأي أحزاب وزعماء يقودون المسلمين الى حيث يجهلون ، وترك رجال الدين زعامة الامة وقيادتها لهم وهم يعلمون ان منهم الملحد ومنهم الفاسق الذي يشرب الخمر ويزني ويلوط ، ومنهم الذي يحل الربا ، وأمثال هؤلاء الزعماء أحرض على سلخ الحكومة من الدين من النصارى لانه يتمذرع عليهم أن يجمعوا بين شهواتهم وأهوائهم والزعامة في قومهم ، وبين الحكومة الاسلاميه

لو صبرت القبط والنصارى في البلاد الصمانية لكفاهم هؤلاء المسلمون الجغرافيون لاصر ، كما يشته من قبل ، ألم يروا أنه لا يوجد مشروع اسلامي الا ويكونون هم المقاومين له لانهم يخشون قوة الدين على زعامتهم ووطنيتهم ، وان كان من قوم لا اغاية لهم بالزعامة ، ولا يحبون أن يقربوا من نار السياسة ، ولكنهم اذ لم يصبروا ، يخشى أن يجيء الامر على ضد ما طلبوا .

يحسن ان يفتقروا الآن بمالهم في الحكومتين من الحرية الواسعة ، وجواز مشاركة المسلمين في أكثر أعمال الحكومة أو كل ما لا يختص بالدين منها ، والقبط أجدر بهذه القناعة من غيرهم لان أكثر أعمال الحكومة الخديوية في أيديهم وليتدبروا حال الحكومات الاوربية العريقة في الحكومة الثيائية ، كيف لا تزال على ندرة المخالفين لادعواها في دينها تفضل مذهب الجمهور والحكومة على غيره ، حتى أن فرنسا وهي الجمهورية التي صرحت بأنه لا دين لحكومتها لا يمكن ان تجعل من اليهود المالكين على أزمة القوة المالية فيها قوادا للجيش ولا للاساطيل ولا رؤساء للجمهورية ، دع معاملتها لمسلمي الجزائر وتونس

ان تصرح القبط وغيرهم بهذه المسألة عواقب توقع ولا سيما اذا أحيوا اليها (منها) تنبيه غير المسلمين الغافلين الى وجوب اقامة حكومتهم لشريعتهم ، ولا يمكن للحكومة العاقلة أن تخالف رغبة الجمهور الاعظم من وعيتها الى رغبة النزر اليسير ولو فيها

ترغب هي فيه

• (ومنها) تصدي الدولة العالية للمداخلة في الامر باسم الخلافة والسيادة اذا أوجب الحكومة بعض المطالب تقريرا على الاصل الذي تقرره القبط وهو انها غير اسلامية .

وقد سمعنا هذه الأيام صوت مجلس المبعوثين في الاستانة يبحث عن القاضي الأكبر والقضاء في مصر ويطالب بالمحافظة على الشرع فيها وعهد الى شيخ الاسلام بالبحث عن ذلك وايضاح ما يقف عليه المجلس وما نطن ان الحكومة الانكليزية تحب فتح هذا الباب في هذا الوقت

(ومنها) ان المسلمين في جميع الاقطار يعدون مصر باب الحرمين الشريفين ومعهد علوم الدين ، فاذا علموا ان حكومتها خرجت عن كونها اسلامية يألمون بالطبع وتفترج مسافة الحلف بينهم وبين النصارى وذلك لا يرضي به محب للانسانية .
(ومنها) ان الانكليز يحسبون لسخط رعاياهم المسلمين في الهند وغيرها حسابا اذا هم واقفوا القبط على ذلك جهرا ، والمسلمون أشد أهل الهند اخلاصا لهم في هذا الوقت

(ومنها) ان هذا يذهب بكل أمل المسلمين في هذه الحكومة فيكون علة لرجوع المسلمين الى استعدادهم الذاتي واعتمادهم على انفسهم ، وحينئذ يخشى ان تنحصر القبط منهم أكثر مما ترجح من الحكومة ، وان يعود الامر الى نصابه بقوة الاتحاد التي فقدتها المسلمون باتكالمهم على حكومتهم

(ومنها) ان القبط ترجح على المسلمين رجحاناً ظاهراً يخشى ان يترتب عليه مع تعصب بعضهم لبعض قتن كثيرة ، وهذا كما لا يرضي به حكومة في الدنيا ولا يقبل ان يرضي به الانكليز

وصفوة القول ان فتح باب هذه المسألة كان من الخطأ الذي يضر القبط دون المسلمين فانه أيقظ هؤلاء فاذا استمروا على يقظتهم كان فيه الخير العظيم لهم ، واذا عادوا الى غفلتهم كان ضرره على القبط تأخير مطالبهم ، وبعد ما كان قريباً منها عنهم نعم ان القبط يستفيدون من هذه الحركة اكتماء استعداد المسلمين ، فاذا فاز المؤتمر المصري اضطروا الى معاملة المسلمين معاملة جديدة ورضوا أن يكونوا منهم مكان الأخ الصغير من الأخ الكبير الذي يكون رئيس العشيرة أو بما دون ذلك ، واذا خاب المؤتمر بسعي المفرقين من المسلمين ، علموا ان السيادة في هذه البلاد ستكون لهم ولو بعد حين

وسيكون المؤتمر المصري موضع التبعة الثامنة من مقالاتنا هذا

النبة الثامنة

المؤتمر المصري

ان بركات هذا المؤتمر قد سبقت وجوده فان القبط لما علموا بالعزم عليه اضطروا الى سلوك سبيل الادب في التصير، وتنكب السبيل التي سار عليها كتابهم في الجرائد وهي سبيل الفمزة والتصير، ولكنهم لم يرجعوا عن مقصد من مقاصدهم، وأهمها إنكار كون حكومة مصر إسلامية، وادعاء أنهم أعلى كفاءة من المسلمين وأنهم أخذوا معظم وظائف الحكومة بحق الكفاءة ويطلبون ما يطلبون من سائرها بحق الكفاءة،

فرهم اتحادهم وتحاذل المسلمين وطعن بعض أفرادهم وأحزابهم ببعض ولا سيما بالتأفين منهم في الحكومة، فادعوا ما هو بديهي البطلان في مسألة الكفاءة الشخصية، وما يكاد يكون حقا ظاهرا في كفاءة العصبية الملبة، لولا أن انبرى أولئك الأكفاء الفضلاء الى تأليف هذا المؤتمر الاسلامي المصري. وكل ما هو مصري فهو إسلامي اذا عرف المسلمون أنفسهم، وتعاونوا على القيام بمصالح قطرهم، لان غيرهم قليل فيكون بالضرورة مدغما فيهم، ليس له وجود مدني خاص بدونهم، ولكن وجودهم المدني - وقد اجتمعوا وتعاونوا - لا يتوقف على وجود غيرهم،

لولا غرور القبط باتحادهم، وتحاذل المسلمين وقرقهم، لما طلبوا الرياسة الادارية بدعوى الكفاءة. وكيف تعرف كفاءة المرء في أمر ليس له فيه عمل، ولم تسبق له فيه تجربة، ومن ذا الذي يشهد لهم بهذه الكفاءة وشهادة المرء لنفسه باطلة، ولم يشهد بها المسلمون ولا المحتلون وهم أبناء دينهم، فاذا كانوا يعتدون بشهادة أولياء الامور فليتركوا الامر اليهم، والا فليأتوا بشهادتهم ان كانوا صادقين

أما أنا فاقول ان هذا المؤتمر هو الذي يشهد لهم أو عليهم. ولا أعني بشهادته ما يأتي به خطباؤه من البيانات والحجج فقط وإنما أعني شهادة الحال، دون شهادة المقال، فان لبان المقال قد يكذب وقد يختلج لب السامع بالشعريات المتخيلة، فيبرزها في صور الحقائق المقررة، كما فعل خطباء القبط في مؤتمراتهم. وأما لسان الحال فهو الصدوق الذي لا يعرف الكذب، والحق الذي لا يأتيه الباطل، فتجتاح المؤتمر المصري بالثبات

٢٨٨ تأخر مسلمي الهند ومصر عن غيرهم في المؤتمرات (المارچ ١٤م ٤)

والنظام والعدل والانصاف والاتحاد والتعاون هو الذي يشهد للمسلمين على القبط ، وشهادته لا تكون بذلك لاحقاً ، لان تلك الصفات هي روح الحق

أبطأ مسلمو مصر في هذا المؤتمر كما أبطأ اخوتهم مسلمو الهند في مثله من قبل سبق وثنيو الهند مسلميها في عقد المؤتمر السنوي والجمعية المالية ، والمسلمون هناك أقل من الوثنيين عدداً ، وسبق قبط مصر مسلميها في انشاء المجلس الملي وفي عقد مؤتمر قبضي ، والمسلمون في مصر هم الاكثرون عدداً ، فما هو سبب ذلك ، ههنا وهناك ، كان المسلمون هم أصحاب العزة والسلطان القالب في الهند كمصر ، فاش الفريقان الزمن الطويل بعد دخول الاجانب في بلادهم ، مغرورين بسابق عزهم وسلطانهم ، ولم يشعروا بحاجتهم الى حياة اجتماعية جديدة في هذا العصر الجديد كما شعر الهندوس هناك والقبط هنا لعدم غرورهما ، وانما استيقظ مسلمو الهند قبل مسلمي مصر لان الغرور بالحكومة الاسلامية قد زال من قلوبهم من قبل وان اُبقت لهم انكلترة بعض النواب (الامراء) كالتايل الاثرية او الموميا في متاحف العاديات ، وبقي مسلمو مصر مغرورين متكئين على حكومتهم ، مشغولين بسلطة الاحتلال المسيطرة عليها ، حتى زلزلت القبط هذا الغرور باتحادها وتكافلها وفقر أفواها لا ابتلاع الحكومة كلها ، كما أيقظ مسلمي الهند اتحاد الهندوس وتكافلهم وتقديمهم عليهم بعد ان كانوا دونهم ، فليس لقلّة المسلمين النسبية في الهند ولا لسكوتهم في مصر دخل في هذه المسألة الاجتماعية ، وانما هي فتنة السياسة ، والغرور بشكل الحكومة ، قد أذهلا الامة عن نفسها ، وصرفاها عن استعمال مواهبها ، حتى كادت تفقد تنسها ومواهبها

ان الامم الأوربية التي يجب ان نعتبر بحالها هي التي أصلحت حكوماتها ، ولم تكن حكوماتها هي التي أصلحتها ، فاذا ارتقت الامة رتقي الحكومة بالضرورة ، وقد قال السيد الافغاني الحكيم : العاقل لا يُظلم ولا سباً اذا كان امة

يجب على زعماء الامم ان يوجهوها الى قواها الذاتية ، وثررتها الطبيعية ، وان ينموا هذه القوى والثروة ، حتى تكون مصدر سعادة الامة ، وان يحولوا دون اقتتان العامة بالسياسة ، والاشتغال بامر الحكومة ، فان ذلك يشغلها عما تحسنه وتقدر عليه ، بما لا تحسنه ولا قبل لها به ، وقد ورد في الحديث الشريف « اعملوا فكل ميسر لما خلق له » رواه الشيخان في صحيحهما

يعني انه ينبغي للانسان ان يعمل ويشغل بما يميل اليه استعداداً فانه هو الذي يرحي ان يتقنه ، ومن حكمة الله في اختلاف الاستعداد ، ان يقن مجموع البشر جميع

(المنار ج ٤ م ١٤) توزيع الاعمال عند الافرنج لائقانها ٢٨٩

الاعمال ، فسألة الحكومة والسياسة فتة عظيمة في كل الشعوب ولا سيما في دور
الاقبال الاجتماعي والاقبال السياسي

ان للامة حقوقا على العلماء والكتاب والاعضاء الذين يهتمون بالامور العامة
ويتصدون لها . منها خدمة مصلحتها الدينية والادبية ، ومنها خدمة مصلحتها الاجتماعية ،
ومنها خدمة مصلحتها الاقتصادية ، فاذا حصروا عملهم في السياسة أو جعلوه كله
باسم السياسة ، أضاعوا عليها هذه المصالح والمنافع التي لا قوام لها ولا بقاء الا بها ، ولا
سيما في مثل هذه البلاد التي ليس لها من أمر سياسة نفسها الا الكلام بقدر ما تسمح
به حرية الحكومة . وإني اعتقد أن الامة لا ترقى اذا كان همها كلها موجهة الى شيء
واحد وناهيك اذا كان ذلك الشيء هو السياسة التي لا يشتغل بها في كل الامم الا القليلون ،
ولا يحسنها بمن يشتغل بها الا الاقلون ،

أمرنا الكتاب العز أن نسير في الارض ونعتبر بأحوال الامم ، فاذا نحن بلونا
أخبار الشعوب الغربية وسبرنا غور تفهيم نرى أنهم ما وصلوا الى ما وصلوا اليه من العزة
والثروة ، الا باهتمام النابضين منهم برقية الامة ، والاستعانة على ذلك بالجمعيات
والشركات ، وتوزيع الاعمال بحيث يشتغل بكل نوع منها طائفة لا تشتغل بغيرها
حتى تحسنها

اذا اختبرنا حالهم في التربية وخدمة الدين نطن انه لا هم لهم من الحياة غير
دينهم ، ذلك بأن لهم جمعيات دينية كثيرة قد تبرعوا لها بالاموال ووقفوا لها الاوقاف
حتى صارت تملك الملايين من الجنيهات ، وقد عمت التربية الدينية عندهم ثم قاض طوقانها
على جميع شعوب الارض فانشأوا فيها المدارس والملاجئ والمستشفيات ، وطفقوا
يشنون فيها دينهم وينشرون كتبهم مترجمة بجميع اللغات ، وان الفقراء منهم ليساعدون
هذه الجمعيات على قدر حالهم حتى ان منهم من يحرم نفسه من شرب الشاي أو من
سكره أو من اللحم شهراً أو شهوراً أو سنة ويجعل ما كان ينفقه في ذلك للجمعيات
الدينية كما يعلم ذلك من كتبهم وجرائدهم

اذكر مثالا صغيرا من ذلك وقع في هذه البلاد : كتب قسيس انكليزي يقيم في شين
الكوم في جريدة دينية انه يريد ان يطوف القرى في الارياف للتبشير بالانجيل وانه
يحتاج الى دراجة (يسكات) لذلك ولا يملكها . فما لبث ان امطرت عليه بلاده

(المنار ج ٤) (٣٧) (المجلد الرابع عشر)

الدراجات الحيدة حتى صار يته مخزنا لها لا يكاد يسعها ، وتبع هذا من الدراهم والهدايا ما لا حاجة بنا الى عده

واذا دققنا النظر في اعمالهم المالية نظن انه لا هم لهم من الدنيا الا المال والاحتيايل على جمعه وتصريف أمور العالم كله به وناهيك بمصنوعاتهم التي يعيش العالم كله بها ، ولا تكاد تقم عين أحدنا الا عليها

واذا بحثنا في العلوم والفنون كل منها على حدته فانه يسبق الى اذهانتنا عند الوقوف على غنايتهم بكل علم وحده انهم لم يشتغلوا بغيره ولا يحفلون الا ببلوغ الغاية منه حتى انهم جعلوا لكل فرع من فروع العلم الواحد جمعيات خاصة لاجل اتقائه

فاذا أردنا الاعتبار بحالهم مع الاستضاءة بنور العقل فعلينا أن نتظر في حاجات أمنا ومصالحها العامة ونختص بكل منها طائفة تشتغل بها دون غيرها لان اتقان العمل الذي هو سلم الترقى لا يكون الا بذلك

عندنا جمعيات خيرية وتعليمية ودينية وثقافات مالية وزراعية وشركات تجارية وصناعية وتألفت عندنا مجالس المديريات لاجل تعميم التعليم وهذه المصالح كلها لا تزال ضعيفة ونقصها محصوراً في دائرة ضيقة، فهي الآن كالأعضاء المتفرقة يجب اتصالها ليكون عمل كل منها متمماً لعمل الآخر ، أو كالشرايين المنفصلة يجب اتصالها بالقلب لتستمد منه وتمده ، أو كالاسلاك البرقية التي يصل كل منها بين بلدين أو أكثر من المملكة ولا تتصل بالمرکز العام الذي يصل بعضها ببعض ، وما دامت مصالحنا متفرقة على هذا النحو لا نكون أمة متحدة فيجب ان يكون لجميع مصالح الامة العامة سبط واحد تنظم فيه حياتها ويزاد عليها حتى تكون عقداً كاملاً ، يجب ان تتصل هذه الاعضاء العاملة فتكون جسماً واحداً يعمل كل عضو منها عمله الخاص به لاجل منفعة سائر الاعضاء

فالسبط الذي نحتاج اليه لتكوين عقدنا الاجتماعي بل الدماغ والقلب الذي نحتاج اليه ليمد جميع اعضاء الامة بالحياة هو هذا المؤتمر

ما سرني شيء في مصر كما سرني تألف هذا المؤتمر وانما يتم السرور ان شاء الله تعالى بنجاحه ودوامه، واني اقترح عليه ما يغلب على ظني ان غيري يقترحه والحق يزيد قيمته ويملو شرفه بكثرة طلابه ، ولكن لا ينقص شرفه بقلتهم، فان الحق كالجواهر الخالص ، شرفه ذاتي له وانما يملو ويملو بمعرفة الناس لهذا الشرف وتنافسهم فيه أي بأمر طارض غير ذاتي

كفاني قانون المؤتمر امر اقتراح سلمي لا بدمنه ، ولا يرجي بقاء المؤتمر وقعه الا به ، وهو عدم الاشتغال بالسياسة ، فالسياسة ما دخلت في شيء الا افسدته كما قال الاستاذ الامام ، فيجب ان تترك لنفسها ويفوض أمرها الى أحزابها ، وان يشتغل المؤتمر بآدونها من مصالح الامة فيجمع متفرقها ، ويكمل ناقصها ويوحد وجهتها ، ليكون عمل الكل موجها الى غاية واحدة

للمؤتمر عمل عارض موقت وأعمال دائمة مقصودة لذاتها ، فالعمل العارض الموقت هو تمحيص مطالب المؤتمر القبطي وبيان حقه من باطله

يقول الله تعالى (ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن) الآية . ولا أحسن من بيان الوقائع وإثبات الحق بالأحصاء الصحيح ، وبذلك يثبت المؤتمر أنهم طلبوا من أعمال الحكومة ما لو أعطوه لا ضحت الحكومة قبطية خالصة ، ويسهل على المؤتمر ان يثبت ما يعترف به بعض القبط من تعصب رؤسائهم لهم في جميع المصالح وقدعهم على المسلمين ومن كان هذا شأنهم فاسناد الوظائف الرئيسية اليهم يخشى ان يفضي الى ما لا تحمد عقباء من التعصب والغلو في الخلاف حيث تكون الحكومة كلها في أيديهم

وليس فيما قاله القبط في مؤتمرهم وما يكررونه كثيراً في جرائمهم أمر ذو بال الا تصرحهم بأن هذه البلاد ليست إسلامية وحكومتها ليست حكومة إسلامية . ان القبط على احترامهم في مؤتمرهم وتحاميمهم الالفاظ التي تكبر المؤاخذه عليها صرحوا بأنه لا يقول ان هذه البلاد إسلامية للمسلمين فيها ما ليس لغيرهم الا افراد لا يجاوزون عدد الأصابع ، صرح بذلك خطيبهم توفيق بك دوس الحامي والجريديتهم كلام كثير في ذلك أوضح مما قاله خطيب مؤتمرهم . وعلى هذين وجوب تعليم الدين المسيحي في مدارس الحكومة وبطالة يوم الاحد

فيجب على المؤتمر ان يبين ما يترتب على هذه الدعوى وهو انه اذا كانت الحكومة الخديوية تعترف من نفسها أنها غير إسلامية أو يكرها المحتلون على ذلك فان المسلمين لا يرضون ان تكون محاكمهم الشرعية تابعة لها ، ولا أوقافهم ومدارسهم الدينية تحت ادارتها ، ولا وضع تركات من يموت منهم عن غير وارث في خزيتها ، بل يطلبون حينئذ ان يستقلوا بجميع امورهم الدينية كالقبط وغيرهم . فاما الحكومة فلا تعترف بهذا واما المحتلون فلا يتحملون تبعته

لأحب أن أطيل في المسألة القبطية أصولها وفروعها وانما كتبت ما كتبت من

٢٩٢ ما على المؤتمر من الاعمال الدائمة (المارچ ٤ م ١٤)

قبل لتنبية المسلمين الى ما هم في أشد الحاجة اليه ، وهوان يعرفوا أنفسهم من معهم ، ويعرفوا ما لهم وما عليهم ، وأنا واثق بأنه يسهل على المؤتمر المصري أن يبين للنصفين من شعوب المدينة وغيرهم ان القبط غائبون لا مقبوضون ، وأن المسلمين مغلوبون بتساهلهم لا غلبون ، وان الخير للقبط ان يقنعوا بما هم فيه من النعم ، وأن لا يطلبوا شيئاً باسم القبط ، ولا ينازعوا في صبغة الحكومة الاسلامية ، وأن يعودوا عما تجرءوا عليه من تهمة المسلمين بالتعصب الديني عليهم لنصرانيتهم ، ومن تحريض أوربة عليهم ، وعن اللهجة البذيئة التي سنتها لهم جرائدهم

كل هذا مما يسهل على المؤتمر بالبراهين ولكن القبط لا تدعن له الاذارات من المسلمين الحزم ومجاراتها في توثيق الرابطة المالية والتعاون الديني على الترقى . فذا هم عرفوا حدهم ، واعترفوا بحق غيرهم ، فاني أحب للمسلمين أن يستوصوا بهم خيراً ، ويمطوهم أكثر مما يستحقون ، كما كانوا من قبل يفعلون ، ولا أحب للمسلمين ان يرجعوا بصفة المقبوض ، الذي لاهو محمود ولا هو مأجور

أعمال المؤتمر الدائمة

أما أعمال المؤتمر الدائمة فكثيرة لا يمكن شرحها في هذا المقال وإنما نشير فيما نقتصره في خاتمه الى أصولها وقواعدها
وأما فائدته فأكبرها عندي ما أشرت اليه آتقاً من توحيد المصالح والاعمال العامة التي تقوم بها الامة دون الحكومة ومساعدتها عليها وتوجيهها الى المقصد الصحيح الذي ترقى به الامة في معارج الكمال المادي والمعنوي ، ويدور ذلك كله على أربعة أقطاب (١) الترقية المالية والتعليم (٢) إرشاد العوام الى تحسين معيشتهم في آدابهم وأعمالهم وصحتهم ومعاملتهم لمن يعيش معهم من موافق ومخالف (٣) حفظ ثروة الامة وتمييزها بالوسائل الحديثة ، والتوقي من الفوائت التي تنالها (٤) بواسطة الحاجزين والبايسين وإعانة المتكويين والفارمين

سيشرح خطباء المؤتمر هذه المقاصد كلها أو بعضها ويبينون وجه الحاجة إلى ما يتكلمون فيه وما ينبغي ان يقرره المؤتمر ويقوم به ، وإنما يقرر المؤتمر المطالب العامة بالاجمال ، وأما التفصيل الذي يترتب عليه التنفيذ فيتوقف على تأليف لجان تختص

كل لجنة منها يعمل من الاعمال، ويكون روح الاعمال كلها تكوين الامة وتوحيد وجهتها في حياتها الاجتماعية

فاذا بحثنا في مقصد التربية والتعليم نرى ان تربية أبنائنا وبناتنا مفرقة لأجزاء أمتنا ممزقة لأعضائها حائلة دون ان نكون أمة متحدة، لا مكونة للأمة . أي ان التربية والتعليم اللذين تنافس فيهما ، وبذلك النفيس لاجلها ، ونظن ان فيهما عزيمتا وارتقاءنا ، هما حائلان دون كل مانطبه من وحدة الامة وارتقاءها

﴿ المدارس والتربية والتعليم ﴾

ما هو المقصد العام من المدارس ، ومن يدير هذه المدارس ويحقق لنا ما مقصد منها ، وهل الذين تخرجوا في هذه المدارس متحدون في أفكارهم ومقاصدهم ، متوجهون الى توحيد الامة وجعلها مثلهم ،

لإبقاء للأمة الا بالحفاظة على عقائدها وآدابها وشعائرها الدينية وأخلاقها وعاداتها ولغتها وهي مقوماتها ومشخصاتها التي تكونت بها بالوراثة وفعل القرون كما تكون المعادن في الارض ، فاذا طرأ على هذه المقومات والمشخاص بفعل الزمن ما يسيبها ويشوها ويجعل الاستفادة منها قليلة كان الواجب على المربين والعلمين ان يزيلوا تلك العيوب كما يزال الصدأ عن الحديد لان يزيلوا الجوهر نفسه ويضعوا مكانه جوهر آخر قال صلى الله عليه وسلم « تجدون الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا » رواه الشيخان . والامم معادن كالافراد وعمل المربين فيها كعمل الصناع في المعادن وبعملهم تظهر مزاياها ومنافعها فمهرة الصناع يصقلون الحديد الاسود حتى يكون أبيض لامعا كالمرآة حتى تفضله بلونه على الفضة المهمة في المكان الرطب يتغير لونها ويزول بهاؤها كذلك الامم تظهر محاسنها ومنافعها في زمن دون زمن بالتربية والعلم ، وجوهرها هو جوهرها لا يتغير في نفسه الا بزواله وفاته أو ادخاله في جوهر آخر كما يمزج قليل من المائع في غيره فيغيب عن العين ويزول ذلك الوجود الخاص به . فقد كان كل من السمين الانكليزي والفرنسي جاهلا لامزية له في عالم المدنية ثم تعلما وارتقيا وبقي كل منهما ممتازا بمقوماته ومشخصاته فنتج في الاول الرصانة والثبات والبطء في التحول عن الشيء ولو قبيحا ، وفي الثاني الذكاء والخفة ومرعة التحول ، ولكل من الخلقين المتضادين منافع ومضار ، ولكن المنافع هي التي تغلب في طور الحياة والارتقاء ، والمضار هي التي تغلب في طور الضعف والاحتياط

٢٩٤ مضار مدارس الافرنج ولا سيما البنات (المارچ ١٤ م)

غرضنا من هذا المثل إننا محتاجون الى تربية تزيل الصدأ الذي طرأ على جوهر أمتنا حتى يظهر جوهرها قويا ويسهل الانتفاع به ، والى تعليم نعرف به طرق استعمال مواهبنا الفطرية وخيرات بلادنا فيما برقنا ويرفع شأننا . ولكن أمر تربيتنا وتعليمنا ليس في أيدينا فلا رأي لسراقتنا ولا لأهل العلم والبصيرة منا في أكثره

نلقى بنا قناني مدارس الراهبات ومدارس الامريكان فهل ينظمون فيها آداب ديننا وأحكامه ويترين على عباداته وأخلاقه؟ ألا إننا نعلم انهن لا يتعلمنها ولكن ينظمون ما ينفرن منها ، ويبعد عنها ، فيخرجن لانصرانيات على آداب النصرانية ، ولا مسلمات على الآداب والفضائل الاسلامية ، وهل يرجى صلاح بيوت هذا شأن ربها ؟ أم يرجى ان تكون الامة المكونة من هذه البيوت أمة متحدة مرقية ؟

عندنا مدارس أهلية ابتدائية للبنات فهل نجد فيها من الفضيلة وآداب الاسلام وعباداته ما نقده في مدارس الافرنج ؟ لا لا

ان أمثل المدارس مدارس الحكومة ولا غناء فيها ، فجميع مدارس البنات في هذا القطر غير صالحة للتربية التي نحن في أشد الحاجة اليها ، ولا يرجى أن توجد المدارس الصالحة ونحن في هذه الفوضى بالمصادفة ، ولكننا اذا خرجنا بهذا المؤتمر من هذه الفوضى فاقنا نجد ما نرجو كما نحب لانه يكون برأي الامة وتديرها

ان جميع المدارس المصرية من افرنجية وأهلية وأميرية غير صالحة للتربية المليية التي رتقي بها الامة بتزكية جوهرها الفطري وحفظ مقوماتها المليية ، كل هذه المدارس تجذب المعلمين والمتعلمين فيها الى الفرنج فقتلهم بلفظ غير لغتهم ، وآداب غير آدابهم ، وعادات غير عاداتهم ، كما تخفض مقام ماتهم وقومهم في أنفسهم ، وتعلي فيها مقام أقوام آخرين ، كلها آلات محلاة بل سيوف مقطعة لمقومات الامة ومشخصاتها ، لاهم للمتخرجين والمتخرجات فيها الا ان يجدوا مالا يبدلون للاجانب ثمنها لما عندهم من اللذات والزينة ، بل يبدلون القناطر منه في القمار والمضاربات ومالا لذة فيه الا الهوس والخبيل وقتون الجنون

فلي المؤتمر ان يتدارك هذا الفساد قبل ان يعم ويتعذر تداركه بفشوه في كل الطبقات والاجماع على استحصانه

تلك إشارة الى وجه الحاجة الى المؤتمر في أحدث تلك المقاصد العامة والاقطاب التي تدور عليها مقاصد الامة ، نفس عليه سائرنا

وجملة القول ان المرجو من المؤتمر أن يكون سلك النظام للاعمال الحرة التي

(المنارج ٤م ١٤) اقتراح صاحب المنار على المؤتمر ٢٩٥

قوم بها الامة من الجمعيات والتقابات والشركات ، يوحد وجهتها ، ويساعد كلا منها
بقدر الطاقة

ليس المراد من ذلك ان تكون الجمعيات جمعية واحدة ، ولا الشركات شركة
واحدة ولا التقابات كذلك ، ولا ان تتغير قوانينها ونظاماتها ، ولا ان يكون المؤتمر
مسيطر عليها ، فان ذلك ينافي توزيع الاعمال ، ومباراة العاملين ، ولا ترتقي الاعم
الاب هذا التوزيع الذي هو وسيلة الاتقان

وانما المراد ان هذه المصالح كاعضاء البدن : العيان تبصران والاذنان تسمعان
واليدان تعملان والرجلان تسعيان وكذلك الاعضاء الباطنة كالمعدة والكبد تعمل
اعمالها كل هذه الاعمال الاختيارية وغير الاختيارية تجري على نظام واحد غاية حفظ
البدن كله ، والقلب يمددها كلها بالدم الذي يعينها على اعمالها ، وبالنظام المقدر ، والقدر
المعين ، والنظام قوام الوجود ، ومقيار الاعمال ، ووسيلة السكال ،

اقتراح صاحب المنار

(على المؤتمر المصري)

بسم الله الرحمن الرحيم

« واتشروا بينكم بمعرف »

أحيي رجال هذا المؤتمر الكرام الذين هم موضع الرجاء في رقية أهل هذا
القطر السعيد وإعلاء شأنه ، وأكاشفهم بما عهدي من الرأي وان كنت أظن ان غيري
سبقني اليه كله أو بعضه

ان هذا المؤتمر هو الذي يمثل حياة مسلمي مصر الاجتماعية ودرجة ارتقاؤهم وما
يرجى لهم من المزيد وقد سبقهم الى مثله مسلمو الهند . وانما نجاحه بثباته ودوامه ،
ولا يثبت ويدوم الا بما تقرر من جعله بمنزل عن السياسة ، وحصر اعماله في رقية الامة
بالتربية والتعليم والكسب والاقتصاد والتكافل والتضامن في المصالح والمرافق . واما
تمحيص مطالب القبط وبيان ما هو الحق في هذه المسألة فهو اهل أعمال المؤتمر العارضة
فأقترح على المؤتمر أن يكون له خمس لجان دائمة تعمل وتسمى لتحقيق

منقصه العالي

﴿ الأولى اللجنة الإدارية ﴾

يناط بهذه اللجنة كل ما يتعلق بالنظام والإدارة العامة ويكون أعضاؤها مختارين من جميع الأحزاب والطبقات

﴿ الثانية لجنة التربية والتعليم ﴾

يناط بهذه اللجنة النظر في التربية الدينية العملية والتعليم في جميع المدارس الأهلية التي للجمعيات والأفراد وما كان وسيكون لمجالس المدرجات لتوحيد نظامها وموادها وتوسيع دائرتها فانه لا شيء يضر البلاد ويفرق كلمة الأمة كاختلاف التربية والتعليم . ويتألف أعضاء هذه اللجنة من أعضاء تلك الجمعيات والمجالس ومن نظار المدارس الشخصية . والجمعيات التعليمية عندنا هي الجمعية الخيرية الإسلامية وجمعية العروة الوثقى وجمعية المساعي المشكورة

واقترح ان يكون من أعمال المؤتمر التي تخطر فيها هذه اللجنة أولاً ثم تحوله الى اللجنة الإدارية مساعدة الجمعية الخيرية الإسلامية على إنشاء مدرسة كلية إسلامية للبنات يتربى فيها البنات على عبادات الاسلام وآدابه وأخلاقه ويعلم فيها تدير المنزل وكل ما يحتاج اليه ربات البيوت بالعمل ، وما يعلى أفكارهن وقوسهن من العلوم ، فان البيوت لا تصلح الا بالتقوى والفضيلة والنظام والعلم والادب التي تحلى بها النساء ويفضن منها على أولادهن

﴿ الثالثة لجنة الوعظ والإرشاد ﴾

تتاط بهذه اللجنة العناية بأمر العامة في القطر كله بتعيين وعاظ في كل جهة يطوفون البلاد والقرى يعلمون الناس أمر دينهم وما لا بد منه من أمر دنياهم كالحفاظة على الصحة والالفة والمودة بينهم وبين من يعيشون معهم على اختلاف مللهم ونحلهم وكالحذر من المرائين والفاشين والمقامرين والدجالين الذين يأكلون أموالهم بالباطل ، وينفرونهم من البدع والخرافات والمادات الضارة في الاحتفالات والأفراح والأحزان وغيرها ، ومن المعاصي الفاشية في الأرياف كالاغتناء على الأموال والأعراض والانفس والثروات والزروع وغير ذلك كشرب المسكر والحشيش ويكون أعضاء هذه اللجنة من الأزهرين ومتخرجي دار العلوم وجماعة الدعوة والإرشاد

﴿ الرابعة اللجنة المالية الاقتصادية ﴾

يناط بهذه اللجنة النظر في ديون الاهالي و بياز طرق الارشاد والمساعدة على وفائها بقدر الامكان ، وفي حفظ الثروة مما يغتالها بجهل اربابها وسفاهتهم كالربا الفاحش الذي اهلك الفلاحين ، وفي ترقية الزراعة والتجارة والصناعة في البلاد . ويكون اعضاء هذه اللجنة من رجال النقابات الزراعية والشركات المالية على اختلاف موضوعها ، ومن كبار المزارعين والتجار . واظن ان الكثيرين من اعضاء المؤتمر يبينون هذه المسألة بالايضاح الذي ليس وراءه غاية يصل اليها مثلي

﴿ الخامسة اللجنة الخيرية ﴾

يناط بهذه اللجنة النظر في أحوال المعجزة والبائيس المستحقين للاعانة على ضروريات المعيشة أو على الكسب أو الترية والتعليم . وثألف هذه اللجنة من بعض أعضاء الجمعية الخيرية الاسلامية وجمعية الملاجيء العباسية وجمعية الاسعاف وجمعية رعاية الاطفال ومن غيرهم من أهل الفضيلة والفتنة . ويكون من أهم أعمالها جمع ما يمكن من مال الزكاة وصدقات التطوع وجلود الاضاحي وغير ذلك وصرفها في مصارفها الشرعية بلا محاباة . وإني أعرف من الناس من يحارفي البحث عن المستحقين للزكاة الشرعية فان اكثر المستجدين الذين يتكففون الناس في الطرق لا يوثق باستحقاقهم لا تخاذهم الشحادة حرفة وكسبا . فاذا وجدت في المؤتمر لجنة من أهل العدالة والتقوى والعلم يضمون الزكاة في مصارفها الشرعية فأهلها يسرون بدفع زكاتهم اليها وتوكلهم بصرفها للمستحقين لها . وبقيام المؤتمر بهذا وظهور فائدته للناس بسعيه يقيم هذا الركن الاسلامي الذي هدم في هذه البلاد حتى لم يبق منه الا أثر دارس وهو ما امتاز به الاسلام على جميع الاديان

أقترح على المؤتمر تأليف هذه اللجان ووضع النظام لأعمالها ، وان يكون هو الصلة بين الجمعيات والنقابات والشركات والمجالس التي تخدم البلاد فيمدّها بالرأي والمال ويستمد منها ما يساعده على توحيد المصلحة وتوجيهها الى المقصد من ترقى الأمة المادي والمعنوي مع محافظة كل منها على الاستقلال في العمل فتكون كاعضاء الجسم كل عضو يعمل عمله لمصلحة البدن كله

ويكون المؤتمر كالمؤتمر الذي يمد كل عضو بالدم التي الذي يقوى به على عمله
واقترح ان يكون للمؤتمر مركز عام في القاهرة تجتمع فيه اللجان في الاوقات التي
يصنها النظام في اثناء السنة وتضع كل لجنة منها تقريراً ينظر فيه المؤتمر في وقت انعاده
كل سنة وينفذ ما يمكن تنفيذه ان شاء الله تعالى

﴿ مقدمة مقالات المسلمون والقبط ﴾

اقترح علينا ان نطبع مقالات « المسلمون والقبط » في كتاب على حديثها ليسهل
تعميم الذكري بها ففعلنا وجعلنا لها هذه المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن الا الذين ظلموا
منهم ، وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم ، وإلينا وآلهم واحد
ونحن له مسلمون

الاسلام دين الرحمة والعدل ، والعلم والعقل ، فأما حكومته الاسلامية المحضة
كحكومة الخلفاء الراشدين ، ومن كان أقرب الى سيرتهم كعمر بن عبدالعزيز وصالح
الدين ، فهي حكومة لم ير البشر لها مثالا بأعينهم ، ولا في تواريخ من قبلهم ، في الجمع
بين الرحمة والعدل وحرية الدين والعلم والعمل لمن فتح المسلمون بلادهم ،
وأما حكومات من دون أولئك السكينة من المسلمين التي نشكو نحن من بعض
ملوكها ونصفهم بالظلم فقد كان ظلمهم وشرهم فيها دون ما عرف من ظلم غيرهم من
فاتحي الملل الاخرى ، ولهذا اقترضت جميع الملل والاديان من البلاد التي غلب
النصارى أهلها كأوربة وبقيت الملل والمذاهب في الممالك التي فتحها المسلمون الى هذا
الزمن الذي تغيرت فيه طبيعة العمران وصار من المتعذر على الاقوياء اكراه أهل

الدين على ترك دينهم بالقوة القاهرة أو إبادتهم كما عامل مسيحيو أوربة الوثنيين في عاصمة البلاد والمسلمين في الاندلس وفرنسة

كان المسلمون في كل أيام قوتهم وسلطانهم ينوطون الكثير من أعمال حكومتهم بغيرهم من أهل البلاد التي فتحوها مع السماح لهم بأن يتحاكموا الى رؤسائهم في جميع القضايا التي لا يحبون أن يتحاكموا فيها الى المسلمين فكان لهم حكومة خاصة بهم في البلاد الاسلامية وحكومة مشتركة بينهم وبين المسلمين . كل هذا من فضل الاسلام وتسامحه ولا يزال يعترف بذلك الخائفون لنا : بعضهم يعترف به عملاً باستقلال فكره واحترام اعتقاده (١) وبعضهم لاقامة الحجّة علينا في بعض الاوقات كما وقع من بعض القبط في هذه الايام

وكان المسلمون يبذلون المعاملة الحسنى لمن يدخل بلادهم من الخالفين، ويعبرون عنهم بالمعاهدين والمستأمنين ، ويعبرون عن الداخلين في حكمهم بأهل الذمة ، أي الذين حفظت حقوقهم بذمة الاسلام ، والوصايا النبوية بالجميع كثيرة مشهورة لولا الدين الاسلامي لما عرفت العرب الفاتحة تلك الرحمة والعدل والتسامح التي هي زينة التاريخ فالدين الاسلامي الفضل في ذلك ، ولم تكن تلك القسوة من الاوربيين (ولا سيما في اسبانية التي جعلها المسلمون جنة أوربة) خالية من حجة دينية لرؤساء الدين فأنهم كانوا يرجعون الى التوراة التي هي أصل المسيحية في مثل هذه الاحكام دون ظواهر بعض نصوص الانجيل في الرحمة

جاء في الفصل العشرين من سفر تثنية الاشتراع (١٠ حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها الى الصلح ١١ فان اجابتك الى الصلح وفتحت لك فسل الشعب الذي فيها يكون للتسخير ويستجبد لك ١٢ واذا لم تسالمك بل عمت معك حربا فاحصرها ١٣ واذا دفعها الرب اهلك الى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف ١٤ وأما النساء والاطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها فتقتتها لنفسك وتأكل غنيمتها اعدائك التي اعطاك الرب اهلك ١٥ هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة عنك جدا التي ليست من مدن هؤلاء الامم ١٦ وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب اهلك نصيبك فلا تستبق منها نسمة ما »

هنا تأمرهم التوراة ببادئة جميع الاحياء المقلوبة حتى النساء والاطفال والبهائم ،

(١) راجع كتاب الاسلام والنصرانية ، وخطبة موسيو ونيه ميليه في مؤتمر الهيريقية الشمالية ياريس في (ص ٨١٨) من مجلد النار الحادي عشر

٣٠٠ امتيازات الاجانب وهضمهم للمسلمين . القبط (المنارج ٤ م ١٤)

وفي الفصل ٣٣ من سفر العدد الأمر بطرد سكان الارض التي يقدرّون عليها حتى لا يبقى منهم أحد . وكان هؤلاء هم الذين يعجزون عن إبادتهم بالسيف .

كل ماسمح به المسلمون ومنحوه لغيرهم في أيام قوتهم فضلا وإحسانا صار في أيام ضعفهم حقوقاً وامتيازات للاقوياء من الاجانب يميزون به أنفسهم على المسلمين في ديارهم ويؤيدونه بالقوة ولا يعدونه فضلا للمسلمين ولا تسامحاً من الاسلام

هذا شأنهم فيما بقي للمسلمين من البلاد وأما ما أخذوه من المسلمين فصار ملكاً لهم أو جعلوه تحت حمايتهم فلم يبقوا لهم شيئاً فيه من النفوذ ولا المشاركة في السلطة ولا الحرية . ولكنهم أبقوا في بعض البلاد أشباحاً حفظوا لها لقبها الاول وجعلوها رقية نفوس العامة الجاهلة حتى لا يشعروا بأنهم فقدوا ملكهم كما تشعر الخاصة التي تسهل مراقبتها والسيطرة عليها ، وليس لأمر منهم ولا سلطان ولا نواب ان يستقل بالامر في شيء ما . ومنهم من لا يسمح له ان ينظر في ورقة ترسل اليه ولو من أقاربه لا بعد ان يقرأها الرقيب الاجنبي السائد على بلاده أو الحامي لها ، ولا ان يجتمع بأحد قريب ولا غريب ، الا بحضور الرقيب ، وناهيك بتصرفهم في الاموال والاوقاف والمساجد في بعض تلك البلاد

ليس هذا بعجيب ولا غريب فان للقوة أن تحكم في الضعف كما تشاء . ولكن العجيب الغريب هو ماجرى عليه قبط مصر في هذه السنين الاخيرة وما وصلوا اليه في هذا العام من استضعاف المسلمين أشد من استضعاف الدول الكبرى لهم

أحسن المسلمون معاملة القبط من عهد الفتح الى هذا اليوم إحساناً لم يروا لهم ولا غيرهم مثله من فاتح قط حتى إنهم على شكواهم من المسلمين في هذه الايام يقولون بالسنتهم ويكتبون بأيديهم ان عمال الخلفاء الراشدين ومن بعدهم قد جعلوا كل أعمال الحكومة في أيديهم ، وأنهم كانوا كذلك في عهد محمد علي باشا ومن بعده ، وان أكثرها لا يزال في أيديهم . ثم إنهم الآن يدعون انهم مهضومو الحقوق لانهم محرومون من بعض الوظائف العالية التي هم أحق بها وأهلها ، وان المسلمين ممتازون عليهم بها وبأمور أخرى كتعليم الدين الاسلامي في المدارس وترك الحكومة العمل يوم الجمعة واتفاقها على الحاكم الشرعية . فيطلبون أن لا يكون للمسلمين منزلة ما في الحكومة الخديوية لانها في رأيهم ليست حكومة إسلامية وإنما هي حكومة مصرية فهم أحق بها لانهم أعرق في الجنسية المصرية من سائر المصريين فما هو في أيديهم منها يجب ان يبقى لهم لأنهم أخذوه بحق وما بقي في أيدي المسلمين يجب ان يشاركوهم فيه لانهم

احتكروا بغير حق . وهذا الذي بقي في أيدي المسلمين من الوظائف هو منصب المديرية ومأمورية المركز

سمحت لهم الحكومة بتعليم دينهم في مدارسها وهو ما لم تعمله حكومة في أوربة ولا غيرها فإذا جعلت يوم عيدهم الأسبوعي الديني (الأحد) شعارا لها في ترك العمل وجعلت منهم مديرين ومأموري مراكز عملا بهذه الحجة التي يدلون بها وهي أنها ليست إسلامية فإنه يخشى أن يترتب على ذلك ما تخشى مقبته وتسوء عاقبته من تعرض السلطان للدخول في ذلك باسم الخلافة ومن مطالبة المسلمين للحكومة برفع سيطرتها عن محاكمهم الشرعية ، وأوقافهم ومعاهدهم الدينية . ومن تهيج مسلمي الهند على الحكومة الانكليزية إذا اعتقدوا أنها هي التي أزالَت الصبغة الدينية من حكومة مصر التي هي سياج البلاد المقدسة ومدخلها ، ولذلك استنكر رجال الاختلال مطالب القبط مع عطفهم الديني عليهم كما استنكرتها الحكومة

أما مسلمو مصر وهم السواد الأعظم من أهلها فكانوا غافلين عن سعي القبط وتصبهم غير مباليين به لأنهم مفرورون بكثرتهم وإن كانت كثرة تشبه القلة أو تضغف عنها لتخاذلهم وانحلال الرابطة التي توحد بينهم . وهذا هو الذي أطمع القبط فظنوا أنهم ينالون كل ما يطلبون من جمل السيادة في هذه الحكومة خالصة لهم من دون المسلمين . ولا أضرب لهم المثل الذي ضربه لهم بعض الناس « لا تطعم العبد السكران ، فيطعم في الذراع » بل أقول هذا شأن الأقوياء بالاتحاد ، مع الضعفاء بالتفرق والاقسام رأَت القبط أن تهاجم المسلمين من أضغف جانب فيهم وهو رميهم بالتعصب الديني وبنقض القبط وسائر المسيحيين وظلمهم وهضم حقوقهم واتباع خلفهم في ذلك إرسلهم جردوا هذا السلاح في وجوه المسلمين فذعروا وصبروا على ما لم يتعودوا من اهانة القبط لهم جهراً بما ينشر في الجرائد فقالت القبط أنهم قد ماتوا فلا خوف من مدافعهم فلنظهر وحدتنا في مطالبنا ، وقد فعلوا

ألف المؤتمر القبطي فخره ١١٥٠ مندوبا عن القبط يحملون ١٠٥٠٠ توكيلا عن اخوانهم في القطر المصري كله وافتتح المؤتمر مطران اسبوط التي سماها بعضهم عاصمة القبط ، فأحدث هذا المؤتمر دويا في مصر أيقظ المسلمين ودعاهم الى تأليف مؤتمر مصري حقيقي للنظر في الحال الاجتماعية العامة ، وتمحيص مطالب القبط وتحسين أمور المسلمين أو المصريين

ما كان يخطر في بال القبط أن المسلمين يجربون على عقد مؤتمر لهم ، ولا أن

الحكومة تسمح لهم به اذا شاءه ، نصرحوا بأن الحكومة هي التي أوحى اليهم
بقده ، وأرادوا أن يخيفوا الحكومة بمثل ماأخافوا به الامة ، فانشأوا يطعنون في
الوزارة ورمونها بالتصب الديني وتحريض المسلمين عليهم ، ويرجعون بأن «المسيحية
تعتدب » ليحرضوا كل من في مصر من النصارى على المسلمين ، وحاولوا ان يحملوا
نصارى السوريين على عقده ، وتغر لهم نخبوا لان القبط يعجزون عن البعث بالسوريين
واستخدامهم لاهوائهم ، وأما دساتيرهم في انكسرة فقد ظهرت لكل أحد ولكن لم
تثن عنهم شيئاً لانها مبنية على التهم الباطلة ، التي كذبتها سيرة المسلمين الهادئة الساكنة
لقد مررت في هذه الحركة القبطية لانها وسيلة لاختبار حياة المسلمين وسيكون المؤتمر
المصري هو الذي يظهر هذه الحياة ودرجتها قانداً نجح المؤتمر وأنجلى عن حياة في المسلمين
فلا يسنوني أن قال القبط مايقول بعض المتدلين انه هو الحق الوحيد من مطالبها
وهو جواز ان يكونوا رؤساء ادارة كما صار رؤساء المحاكم ولغيرها من المصالح . وافا
خاب الامل (لاسمح الله) في هذا المؤتمر فلا أسف على شيء آخر بقوت
كتب الناس في المسألة لانها أهم ما يكتب فيه بمصر الان فألقيت دلوي بين الدلاء
وكتبت مقالا طويلا في فصول متعددة نشرتها في المؤيد والمئارج . قصدت بها مجادلة
أهل الكتاب بالتي هي أحسن كما أمر الله عز وجل ولا أحسن من يان سنة الاجتماع
في هذه المسائل والتميز بين حقها وباطلها ليزداد الباحثون بصيرة في بحثهم ، وتنبه
المسلمين الى الاجتماع والتعاون على ما ينفعهم في دينهم ودنياهم ولا يضر سواهم ، ولاجل
ان تكون مقدمة لبيان رأيي فيما يجب ان يقوم به المؤتمر من الخدمة العامة لهذه البلاد
بلغ هذا المقال من التأثير في قفوس المسلمين فوق كنت أظن ، واقترح على
كثير من الكبراء والدهماء ان أطبعه في رسالة على حدته فأجبت ، وها هو ذا
(محمد رشيد رضا)



باب المراسلة والمناظرة

كيف خلق الانسان (*)

بينا في بعض مقالات نشرت في الصحف اليومية أن مذهب داروين وإن كان من أحسن المذاهب العلمية الآن لتفسير المسائل الطبيعية إلا أنه لم يبلغ درجة اليقين فهو لا يزال ظنيا لا قطعيا ويجب على أتباعه أن يعرفوا عنه هذه الحقيقة وقد أوردنا عليه فيما نشر بعض احتمالات قهوض أهم أركانه ، وتذكر أكبر أسس بنيانه ، حتى أنب كبيراً من اعظم أنصاره في الشرق لم يقدر على الرد علينا . وقد سألتني بعض الاخوان قائلاً : إذا كنت تشك في صحة مذهب داروين فكيف تفسر لنا علميا خلق الانسان أولا من طين ؟ فأردت ان اجيبه في هذه المقالة على هذا السؤال . وقد رأيت أن ابداً بسررد تلك الاحتمالات التي أوردتها على هذا المذهب ثم أتبعها بالجواب فأقول : —
أما الاحتمالات فهي :

(١) اذا قلنا ان بعض الاعضاء الاثرية في نوع ما من الانواع كان مستعملا في هذا النوع بعينه من قديم الازمان ولا اختلاف الظروف والاحوال التي أدت الى اهمال هذا الاستعمال فيما مضى من الاجيال ضمرت هذه الاعضاء وصارت آثاراً للدلالة على أصولها في نفس هذا النوع لا على أنها كانت أعضاء في نوع غيره فبماذا يا أنصار هذا المذهب تثبتون تغير الانواع وانتقالها من نوع الى آخر ؟؟ مثال ذلك عضلات الاذن الظاهرة للانسان والجسم الصنوبري (Pineal Body) الذي في محه ويقولون عنه انه كان عينا ثالثة في الحيوانات التي ارتقى عنها الانسان . فلماذا لا نقول ان هذه العضلات وتلك العين الثالثة كانت للانسان نفسه في أول الاول خلقت ابتداء معه لمنفعة لها اذ ذاك وتغير الظروف والاحوال فيما بعد أهمل استعمالها لتلك الاسباب التي تزعمونها فضمرت حتى صارت آثارا دلت على ما كان له في قديم الزمان

(*) دكتور محمد توفيق اعني صديقي

٣٠٤ خلق الاجنة على طريقة واحدة (المنار ج ٤ م ١٤)

لا على أنه انتقل من نوع الى نوع ؟ ومثل ذلك يقال في سائر الحيوانات التي توجد فيها مثل هذه الاعضاء الضامرة أي أن كثيراً من الحيوانات كانت لها هذه العين الثالثة ثم زالت أو ضمرت لعدم الاحتياج اليها وإهمال استعمالها وكذلك تجدناها في الحيوان المسمى بالافرنجية هاتريا (Hatteria) وهو نوع مخصوص من الاورال (جمع وول) (Lizards) كانت له هذه العين فأهل استعمالها فضمرت فيه وبقيت الى الآن منقطعة بالجلد وبمثل هذا التعليل يمكننا أن نعلل ضمور الحوض والطرفين السفليين في الحيات أي ان بعض هذه الاعضاء الاثرية المشاهدة الآن في انواع الحيوانات كانت في قديم الزمان أعضاء نامية في نفس هذه الانواع لا في انواع غيرها كانت موجودة قبلها أما باقي الاعضاء الأخرى الاثرية فيمكن تعليلها بعلة أخرى كما سيأتي

(٢) إذا سلمنا ان بعض الانواع ارتقى عن البعض الآخر واستدلنا على ذلك بمثل الاسنان التي تظهر في الفك الاعلى لأجنة الحيتان والحيوانات المجترة ثم تذهب وتزول قبل ان تولد وقلنا ان ذلك دليل على ارتقاها من نوع غير نوعها فبماذا ثبت ارتقاء جميع الانواع بعضها من بعض ؟ مع أن مثل هذا البرهان لا يوجد إلا في بعض الانواع دون البعض الآخر أي أننا إذا سلمنا ان الانواع كانت أقل مما هي عليه الان قليل فلا يمكننا أن نسلم أنها جميعاً كانت قليلة جداً (أي نحو أربعة أو خمسة مثلاً) كما ذهب اليه داروين أو واحداً فقط كما ذهب اليه غيره ممن اتبعه فإذا سلمنا ان الطمار والحصان من أصل واحد فلا نسلم أن السكب والانسان كذلك . ومثال ذلك في اللغات : أتما اذا قلنا ان بعض الكلمات في بعض اللغات مشتق من اللغات الأخرى لوجود تشابه في حروفها ومخارجها فلا يمكننا أن نقول ان كل كلمة في أي لغة مشتقة من كلمة أخرى في لغة أخرى قبلها بل أن كثيراً من الكلمات قد وضع في اللغات وضاً وخلق خلقاً ولم يكن له سابق في لغة قبله فكيف اذاً ثبت أن الانسان أو غيره من بعض الانواع الأخرى لم يخلق نوعاً مستقلاً عن غيره من الانواع وأي برهان صحيح يقيم على ذلك سوى الضنون والاهام مع ملاحظة أن مثل البرهان السابق (أي ظهور الاسنان في بعض أجنة الحيوانات ثم زوالها) ان صح في بعض الانواع فلا يصح في نوع الانسان ولا في أكثر الانواع الأخرى . وإلا فإني الانضاء الاثرية التي ثبتت ذلك فيه ؟؟

(٣) لأننا نقول إن سنة الله في الخلق هي أن يخلق أجنة الحيوانات المتماثلة على طريقة واحدة ثم ينوعها بحسب أنواعها المختلفة أي ان اجنة بعض الحيوانات المختلفة في نوعها تكون في مبدئ

(المراجع ٤م ١٤) تحليل وجود الاعضاء الأثرية ٣٠٥

الامر متشابهة كل الشبه ثم تنوع شيئاً فشيئاً حتى يختلف بعضها عن بعض فكما أن جنين الذكور والانثى هو في الاصل واحد ومنه يشتق الذكر والانثى فكذلك أجنة كثير من الحيوانات هي في الاصل واحدة لأنها خلقت في مبدأ الخلق من شيء واحد كإسباني يانه ثم اشتقت منها الحيوانات المختلفة وكما أنه لا يصح أن يقال إن الذكر كان أنثى وارتقى لوجود آثار الانثى فيه وبالعكس كذلك لا يصح أن يقال إن الانسان كان حيواناً آخر وارتقى لوجود آثار من الحيوانات الأخرى فيه كالزائدة الدودية التي هي عبارة عن أعور طويل في الحيوانات الأخرى ذوات الثدي وكالاقواس الخيشومية (Branchial arches) في جنين الانسان التي تقابل خياشيم الأسماك فإن هذه الأشياء الأثرية وجدت في الانسان كما وجدت آثار الانثى في الذكر وبالعكس لان الجنين لكل من هذه الحيوانات المختلفة كان أصله واحداً في شكله ومادته وخواصه ثم تنوع فوجدت آثار بعض الحيوانات في البعض الآخر لتشابه أجنيتها في مبدأ الامر ولتكونها على طريقة واحدة ومن مادة واحدة . ومثل ذلك أيضاً الجلد والعضل والعصب والعظم فإنها خلقت جميعها من خلايا (بروتوبلاسمية) واحدة في أصلها وشكلها ثم تنوعت أثناء نشوئها وحافظت خلاياها على خواص الخلايا (البروتوبلاسمية) الأولى وصفاتها بدرجات متفاوتة بحيث صار بعض هذه الخواص في بعض هذه الخلايا أصلياً وفي البعض الآخر أثرياً مثل خاصية الانقباض التي توجد في الخلايا العضلية ظاهرة واضحة وفي غيرها طفيفة غير خافية وإن كانت في الخلايا الأصلية متساوية . ويلحق بهذا الوجه وجه رابع وهو أن نقول :

(٤) ان بعض هذه الآثار يمكن تحليله بأنه من بقايا التكون التدريجي أي مما يختلف عنه وذلك أما أثناء تكون الجنين نشاهد بعض اشياء توجد ثم تزول أو تبقى آثارها ولا فائدة منها بحسب علمنا ولا يمكن تحليلها بما يعللون به الاعضاء الأثرية الأخرى . مثال ذلك

(١) غشاء الحدقة (Pupillary membrane) فإنه يظهر في الجنين طامساً العين ثم يزول قبل ان يولد ببعض شهور ولا يمكن أن يقال إنه كان مستعملاً في حيوانات سابقة وإلا لكاف عمياء وضاعت فائدة أعينها بوجوده
(٢) غشاء البكارة فإنه بقية من بقايا التكون التدريجي وهو منتهي ما يقولونه عنه . - وكذلك

(المجلد الرابع عشر)

(٣٩)

(المراجع ٤)

٣٠٦ كيفية خلق الانسان . خلق المسيح (المارج ٤ م ١٤)

(٣) الحاجز المهبلي الذي يوجد في بعض النساء وهو ينشأ من اتحاد إحدى أنبوبي ملر (Mullerian Ducts) بـأخرى

(٤) جفون العينين فلها تكون ثم تتحجم ثم تنفتح في الجنين ولا يسلم أحد حكمة هذه التقلبات فكذلك يمكن أن يقال إن ظهور الشعر في جميع جسم الجنين الانساني مثلاً ثم ضموره من أغلبه بالتدرج هو من هذا القليل أي إنه لا يدل على أن الانسان كان أولاً حيواناً ذا شعر طويل كغيره من الحيوانات ولما ارتقى ضمشره . وما يقوله أنصار داروين في تعليل هذه المسائل الاربعة المذكورة هنا قوله نحن في تعليل وجود الاعضاء المتخلفة عن التكون التدريجي وهذا أيضاً وجه آخر في تعليل مثل الزائدة السودية في الانسان . وإن اعترفوا بالمعجز عن تعليل بعض هذه المسائل وأقروا بجهلهم حكم كثير من أعضاء الجسم كالثيموس (Thymus) والجسم السباتي (Carotid) والجسم المصصمي (Coccygeal Body) وغيره اعترفنا نحن أيضاً بجهلنا حكمة بعض الاعضاء الأثرية وحيث فلا فرق بين مذهبننا ومذهبهم سوى أنهم أكثر جرأة منا على التهجيم على دعوى معرفة أسرار الكون والاعتزاز بما عرفوه وإن كان كل يوم يظهر أنهم فيما يزعمون كاذبون عاجزون وأما كيفية خلق الانسان فالجواب القطعي عنها لا يعلمه إلا الله . وأما الظني فيمكننا أن نقول : - لا يخفى أن أجنة الحيوانات بعضها يتكون في الرحم والبعض الآخر خارج الرحم كالتي تتكون في التجويف البطني في الانسان وغيره وفي بيض الطيور وفي مياه البحار كالقنافذ (Seaturchins or hedgehogs) وغير ذلك والذي يظهر فيها كلها أن اللازم للتكوين هو حيوان منوي غالباً (١) وبويضة ووسط مغذ سواء كان ذلك الوسط جدر الرحم أو غشاء البريتون أو زلال البيض أو مياه البحار أو غير ذلك .

(١) حاشية للكاتب - تكون المسيح بدون أب أي بدون حيوان منوي له نظير في عالم الحيوانات الصغيرة ولا نطلبه الآن بالتحقيق في الحيوانات الكبيرة كما يزعم بعضهم ففي بعض الحيوانات الصغيرة يوجد ما يسمى بالتولد البكري (Parthenogenesis) أي إن الانثى بعد أن يلحقها الذكر مرة تلد عدة أجيال (generations) بدون احتياج للذكر ابنتها أو ابنة ابنتها تحمل وتلد بدون أن يمسه ذكر ومن ذلك قبل النبات . ومن المعلوم أن ما يحصل في بعض الحيوانات على سبيل القاعدة قد يحصل مثله على سبيل الشذوذ في الحيوانات الأخرى فالقاعدة في الأراب مثلاً أن تلد كثيراً وقد وجد في النساء من ولدت ستة أولاد ولا يتاني ذلك كون مريم وابنها آية للعالمين فإن في كل ما خلق الله آيات للعالمين (وفي خلقكم وما يث من دابة آيات لقوم يرفقون)

(المراجع ١٤م) تطبيق خلق آدم على منن التكوين ٣٠٧

وعليه فيحتمل أن الله تعالى خلق أولاحيوانات منوية وبويضات من مادة واحدة (١) وهما خلايا حيوانية كما خلق الاميبا (Amoeba) وغيرها من الحيوانات ذات الخلية الواحدة ولاختلاف الوسط والظروف صارت هذه الحيوانات المنوية والبويضات مختلفة متنوعة فمن بعضها خلق الانسان الاول (آدم وحواء) ومن البعض الآخر خلقت الحيوانات الاخرى

وذلك بان تلقحت البويضة بالحيوان المنوي ثم التصقت ببعض المواد البروتوبلاسمية الاولى التي كانت توجد في البحار وعلى شواطئها ومن هذه المادة البروتوبلاسمية صارت البويضة تمتص غذاءها كما تمتص أحيانا من البريتون في الحمل خارج الرحم وصارت تنمو وتكبر كما تكبر الآن في بطون الامهات ولما تم نموها اقتجرت وخرج منها الانسان كما يخرج من الكيس الامنيوسي . ولعل الله تعالى ساق له إذ ذاك بعض الحيوانات الاخرى كالديبة المشهورة بهذا الامر فأرضته أو كان يوجد مواد زلالية مغذية في البحار فصار يشرب منها ، أو كان يمتص عصيراً يسيل من بعض أشجار قريبة كان عصيرها مغذياً . أو كان يشرب ماءً فيه حيوانات دقيقة جداً فيتغذى بها وما يقال فيه يقال في الحيوانات الاخرى الشبيهة به التي يجوز أن يقال في كيفية تغذيتها الاولى ايضاً أنها وجدت بعض نباتات طرية هلامية مغذية فازدردتها في مبدل نشأتها حتى كبرت وصار يمكنها أن تأكل غيرها من النباتات أو الحيوانات الاخرى فان قيل وكيف يوجد ذكر واحد وأنثى واحدة مع أنه يحتمل أن الحيوانات المنوية والبويضات كانت كثيرة قلت ذلك هو عين ما يحصل الآن في الانسان وغيره فمع وجود حيوانات منوية تعد بالملايين وكذلك بويضات في كل جماع فلا يكون منها غالباً إلا ولد واحد وإن قيل لم لم يخلق الآن حيوانات بهذه الطريقة من جديد، قلت ولم لم يتولد الآن من الجمادات أحياء جديدة ؟ أليس ذلك لا اختلاف حال الزمان وطبيعة الارض الآن عما كانت عليه في مبدل الخلق ؟ أما إذا وجدت تلك الاحوال الاولى فلا يبعد أن تكون فيها حيوانات جديدة كما لا يبعد أن يكون فيها أيضاً بطريق التولد الثاني خلايا بروتوبلاسمية جديدة

أما مسألة التذكير والتأنيث فما يقال فيها الآن يقال نحوه أو ما يقرب منه في الخلايا البروتوبلاسمية الاولى التي صار بعضها حيوانات منوية ملفحة (بالكسر) والبعض الآخر بويضات ملحقة (بالفتح) . والله تعالى أعلم بأسراره في خلقه

(١) النار : اي خلق ذلك في الطين اللازب من الجأ المسفون

النسائيات (*)

٣٠

﴿ حرية المرأة في الاسلام ﴾

يود بعض النساء المسلمات التشبه بالعربيات في زيهن وأكاط معيشتهن ظناً منهن ان الحرية انما ألقت مراسيها عند العربيات وانهن أي المسلمات محرومات منها شرعاً ولو تدبرن أمور دينهن ويحتمن في القوانين التي يتبعها الغرب لرأين ان نصيبهن من الحرية الحقيقية أوفر من نصيب العربيات . ولا يخجلن زي الغربية وكثرة مجاولها في الشوارع والبلاد فاما حريتها هذه كمن يعطيك درهما ويأخذ منك ديناراً . لان ركن الحرية الاقوى ان يكون الانسان حراً في التصرف بماله . حراً في معاشره غيره . والاسلام يعطي هذه الحقوق للمرأة فضلاً عن انه ييسح لها السفر والسفر ، وان كان مع الاشرط .

« كانت المرأة قبل ظهور الاسلام مزدرة الى الدرجة القصوى ففي بلاد العرب كانت تحسب كعض امتعة البيت حتى انها كانت تورث كما يورث العقار والانعام والوارث حق ابتاعها لنفسه أو يبعها لمن يشاء وكانوا يثدون بناتهم خشية العار أو الفقر وكان تعدد الزوجات قاشياً فيهم بغير حد محدود وكذلك كانت الحال في بلاد الفرس وعند اليهود . هذا في الشرق وأما في الغرب فلم تكن المرأة بأسعد حظاً اذا كانت كنية مهملة عاطلة من الترية والتعلم معدودة كالبهيمة حتى ان مجامعهم المقدسة كانت تبحث في هل للمرأة نفس كالرجل وقام بينهم خلاف شديد من أجل ذلك وحتى لعب بعض مقاصري الانجليز بامراته بعد ان خسر ماله « انتهى بتصرف من كتاب الاسلام دين الفطرة لمؤلفه الاستاذ الشيخ عبد العزيز جاويز

ساوى الاسلام بين الرجل والمرأة في

(١) كل التكاليف الشرعية الا النادر وذكر القرآن المرأة بجانب الرجل في

كثير من آياته

(*) مقالة جديدة للادبية المروفة بلقب باحة بالادية

(٢) في الحقوق المدنية فللمرأة ان تبيع وتشتري وتهب وتقف وتعتد ما شاءت من العقود بغير اذن أو سيطرة مع ان قوانين الغرب لا تبيع للمرأة شيئاً من ذلك وتشرط ان يكون لرجل المرأة حق التصرف في أموالها بغير قيد ولا سؤال . وقد ضايق هذا الأمر النساء هنالك فهين في بعض الممالك يطالبن بحقهن فأعطيه ولكن اللاتي لم يطالبن لم يعطين شيئاً

(٣) يتضح من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ان الاسلام يبيع للمرأة حرية الرأي فقد بايعه المؤمنات مع المؤمنين مراراً وإهالنا هذا الأمر ليس بدليل على ان الاسلام يحرمه كما تحرمه قوانين الغرب . ولا يزال يرن في آذاننا صدى ضوضاء المطالبات بحق الانتخاب ووقوف الثواب في وجوههن وأرجاعهن بنجفي حين وقد لقين من السجن والضرب عذاباً أليماً .

(٤) يبيع الاسلام للمرأة الراشدة ان تزوج نفسها بنفسها وان توكل من شاءت في العقد

(٥) يعطي المرأة حق الطلاق اذا اشترطته في العقد . أما اذا لم تشترطه هي أو وليها فكأنها تنازلت عنه لبعولها

(٦) ومن أعظم نعم الاسلام على الزوجين المتباغضين الطلاق . ولا حاجة لبيان الشقاء المقيم اذا تعاشر الزوجان على غير ألفة أو افتراقاً على غير اباحة الزواج ثانية أو أصيب أحدهما بما يكره الآخر معاشرته عليه كالجنون أو البرص أو غيره ويرشد الدين الحنيف ان لا يستعمل الطلاق الا في الضرورة الشديدة وقد حرمه بعض الأئمة اذا كان بلا سبب قال ابن عابدين (وأما الطلاق فلا صل فيه الحظر أي الحرمة ، والاباحة للحاجة الى الخلاص فاذا كان بلا سبب أصلاً لم يكن فيه حاجة الى الخلاص بل يكون حمقاً وسفاهة رأي و مجرد كفران النعمة واخلاص الايذاء بها وبأهلها وأولادها ولذا قالوا ان سببه الحاجة الى الخلاص عند تبيان الاخلاق وعروض البغضاء الموجبة عدم اقامة حدود الله تعالى فحيث تجرد عن الحاجة المبيحة له شرعاً يبقى على أصله من الحظر ولذا قال الله تعالى « فان أظفكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً » أي لا تطلبوا الفراق) . اه وقال الله تعالى « الطلاق مرتان فامسك بمعروف أو تسريح بإحسان » وقال أيضاً « وعاشروهن بالمعروف » وقال جل من قائل « وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها ان يريدوا اصلاحاً يوفق الله بينهما » ولم يقل إن يريدوا طلاقاً لان الأصل في الزواج دوام العشرة ولكن اذا لم يفلح الزوجان

٣١٠ الحجاب . سببه ومتى كان (المأرج ١٤م)

أو أحدها في إدامة العشرة فلا مناص من الطلاق . قال النبي صلى الله عليه وسلم « أبغض الحلال إلى الله الطلاق »

(٧) يوجب الاسلام تعلم العلم على كل مسلم ومسلمة وقد كانت نساء النبي رضي الله عنهن يفتين الرجال والنساء ويأقنن عابهن دروس الحكمة ومكارم الاخلاق ولم يبدل تعلم النساء قط الا بعد سقوط دولة العرب وترك الناس تعاليم الدين الخفيف أ لم يشتهر النساء أيام العباسيين والامويين بالعلم والفضل حتى برعن في الفقه والادب والقضاء بما لم يبق بعده زيادة المستفيد . ولم يكن تعلم العلم مقصورا على الثيبات منهم وبنات الخلافة بل شمل الجوارى والعامة .

(٨) لو اتبع المسلمون دينهم كما يجب لعلموا ان من فروض الكفاية ان يكون من نساءهم لنساءهم من يكفي من المعلمات والطيبات حتى لا يحتجن لغير النساء في أمس الامور من كالتعليم والاستشفاء

(٩) يبيح الاسلام للمرأة السفر عند أمن الفتنة . والظاهر ان هذا السفر هو الغاية التي يسعى اليها أكثر النساء الشرقيات الآن ويتخذن تقليد الغريات في اللبس والمأكل وشكل المشية وسيلة اليه وزعمن ان ليس هن من الحرية ما لآخواتهن الغريات مع ان الاسلام لم يجعل علينا في الدين من حرج ، وقد كانت النساء يخرجن سافرات الى أن عم الجهل فتم بعض الخاصة نساءهم من الخروج فصارت عادة قلدهم فيها غيرهم وقد تعالى فيه بعضهم حتى كانت المرأة لا فرق بينها وبين السجين قال ابو الطيب المتنبي في رثاء أخت سيف الدولة بعد قوله

صلاة الله خالقنا حنوط على الوجه المكفن بالجمال

على المدفون قبل التراب صونا وقبل الالحد في كرم الحلال

وقال في اخت سيف الدولة الاخرى رثاء ايضاً

وهل رأيت عيون الانس تدركها حتى حسدت عليها أعين الشهب

وعادة الحجاب ليست قاصرة على النساء فقط فان في صحراء افريقية الكبرى

قبيلة اسمها قبيلة المثلثين كل رجالها يعضون الثام على وجوههم ولا تعله نساؤهم

(١٠) لم يبق بعد ذلك عند الغريات أمر يفضان به نساءنا الا تحريم تعدد الزوجات

عند المسيحيات منهم (لانه مباح عند اليهود) . ومن المسلمين من يحرم الزوج بأكثر

من واحدة ولا يبيح الطلاق الا اذا حكم به قاض يفصل في الدعوى . فسلام على الاسلام

وسلام على حرته الحقة وسلام على متبعيه حق الاتباع . (باحثة البادية)

مذكرة

﴿ عن أعمال المبشرين المسيحيين في السودان ﴾

(أرسلها إلينا صديق عارف خير عندما أسسنا جمعية الدعوة والارشاد)

(١) ليس للمبشرين عمل في الجهة البحرية من فاشوده الا في الخرطوم . أما قبلي فاشوده فلم يه فيه أربع نقط على النيل الأبيض وهي : تبجه والكنيسة وبور والمنجلة ، كما ان لهم مركزاً في (واو)عاصمة مديرية بحر الغزال ولا يؤذن لهم الآن في التبشير في غير العاصمة من هذه المديرية

(٢) ان الطريقة الوحيدة التي يعتمد عليها المبشرون في تنصير الاهالي تنحصر في فتح المدارس التي يلقنون فيها اصول الدين المسيحي لاولاد الاهالي الذين يدخلون تلك المدارس

(٣) يعتمد المبشرون في حمل الاهالي على ارسال أولادهم الى مدارسهم على الاحسان الى الآباء والتودد اليهم في (واو) مثلاً يعطون لآباء التلامذة ٣ ارطال دره يومياً كما يعطونهم أيضاً بعض الأقمشة أو بعض الحلبي المستعملة عندهم ومن طرق الاحسان التي يستعملونها هذه الغاية « التطيب » فهم يداوون كثيرين من مرضى الاهالي الذين يكونون عن مقربة من مراكزهم

(٤) يعلم المبشرون في مدارسهم اصول الدين المسيحي والقراءة والكتابة بلغة افرنجية ومبادئ العلوم الضرورية كالحساب ، وعدا هذا فهم يقسمون التلاميذ الى جماعات يختص كل جماعة منهم بتعليم صنعة من الصناعات كالتجارة والحداة والبناء فيبدؤون عملهم بتشيد مسكن لهم وبجواره كنيسة ومدرسة ثم يأخذون قطعة أرض ويجرون فيها تجارب زراعية والذين يعملون لهم فيها هم الاهالي المجاورون لهم في مقابلة مكافأة تعطى لهم والتلامذة انفسهم

وقد يوجهون همهم الى تجارب في كل ما يظنونه يعود على الاهالي والحكومة بالربح والرفاهية فيربون النحل ويمملون له الخليات على الطرز الاوربي ويستخرجون منه الشمع الى غير ذلك من التجارب على مقدار ما تسمح به قوتهم المالية ومطاميرهم العملية

٣١٢ دعاة النصرانية في السودان (المنار ج ٤ م ١٤)

(٥) ان اشد القبائل استعداداً للتدين بما تدعى اليه هي قبائل النيام . هذه القبائل ليس لها تقاليد دينية تصدهم عن اعتناق أي دين يدعون اليه ويقابل هؤلاء في سهولة اقيادهم (الدنكا) في شدة تمسكهم بمبادئهم ، وهؤلاء الدنكا لهم بعض معتقدات دينية اذ كر ان اللورد كرومر فصل بعضها في أحد تقاريره

مساعدة الحكومة للبشرين

(٦) اذا صرنا النظر عما يحصل من بعض افراد الموظفين الانكليز ونظرنا الى اعمال الحكومة العمومية والى أعمال الاكثريين من رجالها صح لنا أن نصف الحكومة السودانية بالنزاهة في هذا الباب . بل ان الحكومة قد فعلت احياً ما لا يرضي المتصيين من المسيحيين . ففي بحر الفزال وغيره من البلاد الوثنية تحتفل الحكومة بالاعياد الاسلامية احتفالاً شاملاً تدعو اليه مشايخ القبائل ورجال قبائلهم كما انها تبطل يوم الجمعة أشغالها ، وفي رمضان لا تشتغل بعد الظهر ولعل هذا بعض ما دعا أحد زعماء المرسلين الاسريكان الى لوم الانكليز في خطبة القاها في العام الماضي على أني قد شعرت في آخر الامر بأن الحكومة تريد أن تظهر مجاملتها هؤلاء البشرين فقد ساعد أحد مديريها احدى الارساليات على إحضار أولاد الاهالي الى مدارسها بنفوذ الحكومة

عرفت ذلك من مصدر يوثق به ولكن لست ادري هل كان هذا العمل بناء على رغبة المدير خاصة أم رغبة الحكومة الرئيسية ؟ والحكومة تمنع الان المرسلين من التبشير في داخل بحر الفزال ولكن سبب هذا المنع اداري محض . فالحكومة تستعمل الاهالي في حمل بضائهم وفي حمل عفش ضباطها ومستخدميه فهي تخشى من اقلام البشرين اذا اطلعوا على هذه الحقيقة خصوصاً اذا شاهدوها بأعينهم

مقدار نجاح البشرين في مهمتهم

(٧) للآن لم ينجح البشرين في عملهم وعدم نجاحهم هذا قد يفر قصار النظر من المسلمين فيجزمون بعدم نجاحهم في المستقبل ولكن المرجح عندي انه اذا طال زمن احوال المسلمين فالبشرون ناجحون في المستقبل . أتاحت لي المصادفة مقابلة بعض أهالي (أوغندا) واستطلعت منهم حالة بلادهم ففهمت منهم ان البلاد صارت مسيحية أو كادت وذلك للمجهودات التي يبذلها البشرون ، حتى لقد نشروا كتبهم المقدسة كلها هناك مترجمة بلغة الاوغنديين ومكتوبة بحروف انكليزية يعني ان القاريء يقرأ كتابة انكليزية ولكنه ينطق بكلمات اوغندية

لست أجهل أن هناك بعض عبارات تستوجب وجود الصعوبات في سبيل هؤلاء المبشرين في السودان المصري مثل وجود العساكر السودانية المسلمين بين هؤلاء الوثنيين وأن هذه الاصطاع هي مجال واسع لتجار السودان وغيرهم من المسلمين ولكن المتأمل في طريقة هؤلاء المبشرين في قصير الاهالى لا يسه مع علمه بكل هذا الاحكام بترجيح نجاحهم والا فاما هي قوة هؤلاء الاطفال الذين يلقى بهم بين ايدي هؤلاء المبشرين الذين يلتفتونهم أصول الدين المسيحي كأنها حقائق لا نزاع فيها ؟ أليس الاجدر بالتأمل أن يحكم بأن هؤلاء الاطفال يصيرون رجلا مسيحيين كالمسيحيين المولودين من ابوين مسيحيين لان ما يتلقاه هؤلاء الاطفال من أصول الدين المسيحي لا يجد له مزاها ولا معارضا في قوسهم فيزعزعه كما انه ليس هناك رجال دين آخريثون أصول دينهم في قوسهم كي تغالب ما ألقى اليهم ؟

تقريظ المطبوعات الجديدة

﴿ سير الليالي ﴾

جمع أمين اقدى صوفي السكري من أدباء طرابلس الشام مسائل وفوائد كثيرة من الكتب والصحف التي طالعها فكانت كتابا كبيرا يدخل في بضعة أجزاء . وقد طبع الجزء الاول منه في ١٣٢٧ على نفقة الشيخ عبد الله الرفاعي الكتي في طرابلس وهي الطبعة الثانية له . وهذا الجزء زهاء مئتي صفحة أكثرها في جغرافية المملكة العثمانية وأقلها في جغرافية الممالك الاوربية فيجد قارئه كلاما مفصلا في وصف الولايات العثمانية لا يجده في غيره من الكتب العربية المتداولة ، ولت المؤلف وقد أضاف الى هذه الطبعة فوائد كثيرة لو صحح ما فيه من الاحصاء بمراجعة الاحصاءات الاخيرة فهو يذكر أن مسلمي مصر تسعة ملايين اخذا من احصاء سنة ١٨٩٧ م وهم في احصاء ١٩٠٧ زهاء ١١ مليوناً . وذكر أن نفوس السودان المصري ١١ مليوناً ولعله يمد من السودان المصري جميع ما انفصل منه حتى زيلع ومصوع ، كما هو مقتضى سياسة الدولة العلية ثم انه لم يلتفت الى ما حل به من الاوبئة والحروب ، واني

لم أواجه من الكتاب الا احصاء المسلمين قُبعت اليه والى سببه ثلاثا يكون منقرا عن الكتاب صادراً عن فوائده وأهمها وصف الولايات العثمانية . والكتاب يطلب من المكتبة الرفاعية بطرابلس الشام

﴿ كتاب النصح الكافية والردود عليه والانتصار له ﴾

بذكر القراء انه ذكر في المراجع كتاب (النصح الكافية لمن يتولى معاوية) السيد محمد بن عقيل المقيم في سنغافورة الذي أحدث عند طبعه وانتشاره ضجة عظيمة فأعجب به جماهير العلويين في الاقطار المختلفة وانكره آخرون وعدوه ميلا عن السنة الى التشيع ، ورد عليه بعض وانتصر له بعض

أما السيد محمد بن عقيل فهو رجل سني من حزب المصلحين حسن النية وقد كان كتب الي بزمه على تأليف كتاب يجمع فيه ما ورد في كتب المحدثين والمؤرخين من جرح معاوية بن أبي سفيان وتخطئه في خروجه على امير المؤمنين علي كرم الله وجهه وما تبع ذلك من الفتن والسيئات ، وكان الذي وجه عزمه الى ذلك خلاف وقع في مسألة جواز لعن معاوية وعدم جوازه ، واستقيت يومئذ في الواقعة وأقيمت بدم اللعن ، فكتب الي هذا الصديق انه يخالف لي في هذه الفتوى وانه سيدين حجته في هذا الكتاب الذي توجه الي تأليفه ، فكتبت اليه يومئذ بأنه لا خير في مخالفته إياي ولكنني أرى أن يترك وضع هذا الكتاب لما يترتب عليه اذا وضع بهذا السبب وبهذا الخلاف من القيل والقال واتباع الهوى في الفرق والخلاف ، فلم يقتنع بصحة رأيي ، وقد ظهر له صدقه بعد ذلك ولكنه لا يزال يرى ان تقع الكتاب ، أرجع من ضرر ما كان من الخلاف

الرقية الشافية

كان أول من غلا في التشيع على كتاب (النصح الكافية) رجل من العلويين اسمه السيد حسن بن شهاب يظهر لي انه كان يحسد السيد محمد بن عقيل على ما آتاه الله من المكانة العلمية الادبية في قومهم (الحضارمة) وغير قومهم في مهاجرهم (سنغافورة) وغيرها فاراد وقد منحت له الفرصة ان يرفع من قدر نفسه ويضع من قدر محسوده ، فألف رسالته سماها « الرقية الشافية » من قنات سموم النصح الكافية « وصار يكتب الي من يعرف من علماء الاقطار يستجدهم بحماسة وشدة للرد على هذا الكتاب وقد كتب الي بامضائه وغير امضائه في ذلك

كان من رأيي وأنا شديد الحرص على التأليف بين المسلمين شديد التفور من الخلاف والتفرق أن لا أقرأ كتاب (النصائح الكافية) حق لأحكم له ولا عليه فلم أنجد ابن شهاب وحزبه فيما استجدوني فيه فأتخذوني عدواً لأجل ذلك وما زال أهل الأهواء يحدثون العداوة بين المسلمين بمعادة من لا يتبع أهواءهم ولا يعدل آراءهم وقد رد على كتاب الرقية الشيخ أبو بكر بن شهاب المدرس بمدرسة دار العلوم بجيدو اباد الدكن وهو أشهر علماء الحضارمة في هذا العصر بكتاب سماه (وجوب الحمية عن مضار الرقية) قرأت عدة مباحث منه فظهر لي تهافت حسن بن شهاب وضعفه ، وإن الجمل وحده لا يهبط بصاحبه الى مثل تلك الشتائم والداوى والتوبيعات لولا مساعدة الحمد وأتباع الهوى ، وأبن السيد حسن بن شهاب من السيد محمد بن عقيل وأبن الزيا وأبن الثرى وأبن معاوية من علي

تقد النصائح الكافية

يظهر لك الفرق بين من يكتب ما عليه عليه الهوى، ومن يكتب ما عليه عليه العلم والهدى ، اذا قابلت بين ما كتبه السيد حسن بن شهاب وما كتبه الشيخ جمال الدين القاسمي الدمشقي ، فقد كتب رسالة سماها (تقد النصائح الكافية) انتقد بها النصائح متصفا بمحبة الادب متحلياً بحلية الثناء على المؤلف والاعتراف بفضله ، وكان الامام مالك رحمه الله تعالى يقول : كل أحد يؤخذ من كلامه ويرد عليه الا صاحب هذا القبر . ويشير الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم

قسم القاسمي قدده الى مقدمة و١٤ مبحثاً وخاتمة أكثرها في مسائل علمية في أصول الفقه وأصول الحديث والمناظرة والاحكام التي تتعلق بموضوع الكتاب ككون النفسق والتضليل لا يكون الا بجمع عليه، وكون اخوة الايمان لا ترفع بالمعاصي، ومنها ما يتعلق بمعاوية خاصة ككون الوقعة فيه تستلزم رفض مرويه ومروي من من أقام معه من الصحب (وهذا غير مسلم على اطلاقه) وكونه بلغ رتبة الاجتهاد (وما كل مجتهد يعمل دائماً بما أداه اجتهاده الى كونه هو الحق والا لزم أن يكون كل مجتهد معصوماً من المعصية تامداً طالما)

ومن مباحثه ان من عدل المؤلف اذا ذكر لاحد ما عليه أن يشفعه بماله . أي والعكس، ولا نزاع في هذا اذا أريد بالمؤلف المؤرخ والمحدث الذي يحكم بالجرح والتعديل ويريد أن بين حال من يترجمه ان يقرأ كتابه . وقد يكون لبعض المؤلفين غرض من ذكر ما للمرء فقط أو ما عليه فقط كت تحقيق مسألة معينة أو العبرة ببعض

الخطات والخطيئات ، أو الناسي ببعض المتأقبات والحسنات ، وقد جمع صديقنا الناقد أحسن ما قيل في معاوية من الحقائق ومن الشعرىات ولم يذكر في مقابلتها ما عليه ، وما نكتب به الاسلام والمسلمون على يديه ، فان كان غرضه من هذا البحث ان ابن عقيل قد قصر اذ ترك أحد الشقين فهذا مشترك الالزام لانه هو قد قصر أيضا بترك الشق الآخر . والصواب ان كل واحد منهما قد ذكر ما يرمى الى غرضه وجملة القول ان كل واحد من السكتين في هذه المسألة وغيرها يؤخذ من كلامه ويترك ، ويقبل منه ويرفض ، وليس من غرضنا تحرير المسألة بما يصل اليه اجتهدنا وانما نود لو يكون كل ناقد كالفاسمي في أدبه واخلاصه وتحرره ما يرى انه الاقبح للناس ، فما فرق كلمة المسلمين الا أهل الجدل والمراء بالهوى

بَابُ الْحُجَّةِ وَالْإِثْبَاتِ

﴿ جماعة الدعوة والارشاد ﴾

طلع الصباح ورح الحفاء وعلم الخاص والعام أن جماعة الدعوة والارشاد ليس لها مقصد سياسي لان الجمعيات السياسية لا تكون جهريّة عمومية يقبل فيها كل من أراد أن يدخل فيها بحسب قانونها . وهذه هي الحجة التي دحضت كل شبهة حتى من نفوس الاحداث وعوام الناس الذين هم اتباع كل تاعق لا يفرقون بين معقول وغير معقول . قد يصدق الواحد من هؤلاء انه يمكن إنشاء مدرسة لانشاء دولة وهو مالا يصدقه العاقل المفكر الذي يميز بين الممكن والحال من الامور العادية ، فاذ قيل له ان هذه المدرسة ليست لشخص معين ولا لافراد معينين وإنما هي لجماعة مكونة من كل من يدفع ثلاثة جنيهات في السنة لمقصد الجمعية العلني المجرد من السياسة وهؤلاء هم أصحاب الرأي في هذه الجماعة فلم ان يفرقوا جميع اعضاء مجلس الادارة ويولوا غيرهم فهل تصدق أو تعقل ان يسمح اصحاب المقصد السياسي الخطير بدخول كل من شاء في عملهم وجعله من أصحاب الرأي والنفوذ فيه وان يكون له اخراجهم من

مجلس إدارته وتوسيد امر الادارة الى من شاؤا ؟ لقال من يقاله هذا القول ان هذا لا يصدق ولا يعقل ، فمن يتوهم بعد ظهور نظام جماعة الدعوة والارشاد ان اسسوه غرضاً سياسياً فهو منسلخ من العقل ، قد استهواه شيطان الوهم ، ولا قيمة لتوهم مثله ولا لقوله ، ولا لرضاه ولا لسخطه ، ومن اظهر آيات الجهل والانحطاط أن يوجد في الخلقين بصورة البشر من يصدق الطعن في مثل هذا العمل حتى يحتاج الى الدفاع عنه وليس يصح في الاذهان شيء اذا احتاج التهار الى دليل

﴿ الاشتراك في جماعة الدعوة والارشاد ﴾

علم كل من قرأ النظام الاساسي لهذه الجماعة ان من اشترك فيها بثلاثة جنسيات فاكثر في السنة ودفعها يكون من اعضاء الهيئة العامة فيهم الذين لهم حق الانتخاب والمراقبة على اعضاء مجلس الادارة . وتزيدهم علماً بأن قيمة الاشتراك يجوز أن تدفع أقساطاً كما يشاء المشترك . ومن يشترك بأقل من ثلاثة جنسيات في السنة يعد عضواً من اعضاء الجمعية المعاوين ولا يكون له حقوق اعضاء الهيئة العامة

وكل من دفع للجماعة شيئاً من المال على سبيل التبرع أو على سبيل الاشتراك يعطى وصلاً مطبوعاً مختوماً بخاتم الجماعة وخاتم رئيسها أو وكيلها (وقسائم الوصول المستعملة الآن مختومة بخاتم الوكيل) ويزاد على ذلك توقيع المتسلم الذي يقبض النقود وتوجد الآن دفاتر قسائم للتبرعات وللإشتراكات بيد الوكيل (صاحب هذه المجلة) وسائر الدفاتر بيد امين الصندوق (محمود بك أنيس) وقد اذن مجلس الادارة لكل منهما بالقبض . ومتى تألفت اللجان تعطى قسائم أخرى ويعلم ذلك في الجرائد

﴿ جمعية الرابطة الاسلامية ﴾

كانت شبهة الشيخ عبد العزيز جاويز اذ طعن في مشروع الدعوة والارشاد في بدء السعي لتكوينه انه عمل سري لا يعرف أعضاؤه ولا قانونه . وقد واجبت هذه الشبهة في سوق من لا يميزون بين الشبهة والحجة ولا بين البرهان والفسطة ، الى أن ظهر قانون الجماعة وعرف أعضاؤها ، ثم علمنا ان للشيخ عبد العزيز جاويز جمعية اسمها جمعية الرابطة الاسلامية ينشر دعوتها في تلاميذ المدارس المصرية وتجي تقودها منهم في كل شهر ولا يعرف لها قانون ولا أعضاء ولا أمين -ندوق ، فها هو مقصدها وأين تذهب الاموال التي تجبي لها ؟ وكيف يكلف أولئك التلاميذ بذل أموالهم وهم لا يعلمون أين تذهب تلك الاموال ولا على أي

٣١٨ الماسون في جمعية الاتحاد ومجلة دين ومعيشة (المارچ ٤ م ١٤)

شيء تنفق؟ ومن أعطى منهم ما فرض عليه في كل شهر لا يعطى وصولاً موقفاً باسم أحد ولا ينجته وإنما يعطى ورقة صغيرة كبطاقة الثوب عليها خاتم الجمعية، فإذا كان هذا المال يجبي اقراض صحيح شرعي فلماذا يستخفي مؤسس الجمعية به (ان كان هناك جمعية) ولماذا جعل مواردها خاصاً بالولدان الذين يسهل أن يقادوا الى حيث لا يعلمون ، دون الرجال الذين يبحثون ويحاسبون ، ولماذا يجعل نفسه غير مسئول عما يأخذه من المال بعدم إمضاء الاوراق والبطائق على الاقل ؟؟ ففسي ان تكشف للجماهير هذه القوامض

﴿ الماسون في جمعية الاتحاد ومجلة دين ومعيشة ﴾

ذكرنا في الجزء الاول من هذه السنة ان زعماء جمعية الاتحاد والترقي المشهورين من الماسون وان الماسونية قد راجت بسعيهم وانهم أسسوا لها شرقاً وغرباً ورئيسه طلعت بك الذي كان ناظر الداخلية وهو الآن رئيس فرقة الاتحاد والترقي في مجلس البعثين وتمنينا لو يكون تصرف طلعت بك في الماسونية أحسن من تصرفه السيء في نظارة الداخلية وأشرنا عن بعد الى ما في رواج الماسونية في رجال هذه الدولة الاسلامية من الخطر ولم نشأ ان نشرح ذلك لئلا ياصق الناس عمل طلعت بك وأوليائه من زعماء جمعيته بالدولة العلية بسوء فهم أسوء نية لما لهم من النفوذ في الحكومة الحاضرة وقد ترجمت مجلة (دين ومعيشة) الروسية ما كتبناه وزادت عليه بسوء نية أو سوء الفهم (الله أعلم) ان أركان الدولة والقائمين بأعمالها « جميعاً من الخفير الى السلطان » ماسونيون وجعلت الماسونية في رجال الدولة مفضية الى هدم الدولة الاسلامية وتأسيس دولة ماسونية ، وأظهرت الريب في خبرنا وتكهنت في استنباط الباعث عليه وذكرت احتمال أن يكون غليان الدم العربي والمصيبة الجاهلية ثم ذكرت ما يرد هذه التهمة التي لا موجب لذكرها مع حسن النية بقولها « انها مخالفة لمسلوكه وخطئه وهو الجامعة الاسلامية » ثم قالت ما ترجمته

« فان كان في أعضاء الاتحاد والترقي وعلى الاخص طلعت بك حمية اسلامية فليردوا وليكذبوا أقوال النار وان سكتوا يكون النار صادقا بالطبع »

(النار) إننا نبادل مجلة دين ومعيشة وان كنا لانقرأها ولا نعرف لفتها لما في المبادلة بين أرباب الصحف من النوائد والصلة المصنوية باستمداد بعضهم من بعض كما نبادل الجرائد الهندية لاجل ذلك

وقد ذكر لنا بعض أصحابنا وتلاميذنا الروسين بعض تهافت هذه المجلة في

المسائل الدينية والرد على النار في بعضها وان غايتها تمويق اخواننا مسلمي النار عن الترتي المدني والديني ولم تكن نرى ان هذه المجلة مما يعنى بالرد عليها لان وجود مثلها في هذا العصر مما تقتضيه طبيعة الاجتماع، وصدها المسلمين عن الترتي ومحاولتها ابقاءهم على الجلود وحبسهم في مضيق أوهام بعض المؤلفين في القرون المتوسطة والاخيرة المظلمة لا يخلو من فائدة لان من طباع البشر أن ينقسموا في كل أمر عام يدخلون فيه الى ثلاثة أقسام قسم يغلو في طلب الانسلاخ من القديم والافعال في الجديد وهم أهل الافراط وقسم يغلو في مقاومة كل جديد والحفاظة على كل قديم وهم أهل التفريط ، وقسم يسددون ويقاربون فيهدون الى ترك الضار من القديم واقتباس النافع من الجديد بالتدرج وهم الامة الوسط ، ومجلة دين ومعيشة لسان حال أهل التفريط في مسلمي روسية وقائدتها مقاومة أهل الافراط ليكون كل منهما ممهداً لأهل العدل والاعتدال فيما يدعون اليه من الامر الوسط الذي هو خير الامور كنا نظن ان أصحاب هذه المجلة يكتبون ما يكتبون من خطأ وصواب بحسن النية ولكن لم يظهر لنا شيء من حسن النية في خوضهم بذكر مسألة العصية الجاهلية وهم يعلمون انهم لا يقدررون أن يجمعوا من كل ما عرفوه من الكتب والصحف في إنكار هذه العصية والتشنيع على أهلها مقدار ما يوجد في مجلد واحد من مجلدات النار الاربعة عشر، ولا في إلهامهم قراء مجلتهم اننا قلنا ان رجال الدولة كلهم من الماسون من السلطان الى الخفير (سبحانهك هذا بهتان عظيم) وانما عزونا ذلك الى بعض زعماء الجمعية ونعني بهم طلعت بك ورحمي بك وناظم بك وجاويد بك وجاهد بك واضرابهم ما اجهل أصحاب هذه المجلة باحوال الاستانة وتلك الجمعية اذا اقترحوا على طلعت بك تكذيب النار ، قد يسهل على طلعت بك ان يكذب الصحف فيما هي صادقة فيه من الامور التي لا يعرفها كل أحد في العاصمة كما كذب وقوع الشقاق في حزب الاتحاد والترقي أخيراً ثم عرف عالم المدنية كله ان ذلك حق لارب فيه ، ولكن لا يسهل عليه أن يكذب خبر النار في مسألة الماسونية لانه أشهر من نار على علم ولان طلعت لا يرى رأي أصحاب تلك المجلة في وجوب البراءة من الماسونية

قالوا اذا لم يكذب طلعت بك أو جميعه النار في هذا الخبر تعين أن يكون صادقا فهاهم أولاء لم يكذبوه ، بل قد صدقه طلاب الاصلاح منهم المقاومون لأولئك الزعماء فقررروا إبطال المحافل الماسونية من العاصمة فما يقول أصحاب (دين ومعيشة) بعد هذا ؟ ألا فليعلم أصحاب هذه المجلة ان صاحب النار مسلم قد ربي نفسه على الصدق حتى كان في

٣٢٠ دار السلطنة . تصحيح غلط (المار ج ٤ م ١٤)

أيام طلب العلم يقول لأشد إخوانه محبة له إذا حفظت علي كذبة واحدة في جد أو
هزل فلك حكمك في (فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً) ولا يكونوا ممن قيل فيه
إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونهم وصدق ما يعتاده من توهم

﴿ دار السلطنة ﴾

بحسب الناس للفتن الداخلية في دار السلطنة حساباً ويطنون أن زعماء جمعية
الاتحاد والترقي الذين غلبوا على زعامتهم بفوز المصلحين بمطالبهم المشرة لا بد أن
يجمعوا كيدهم ويكروا على المخالفين لهم ككرة شديدة بدعوة حماية الدستور مما يسمونه
الارتجاع . أما نحن فنرجو أن تكون هذه العاصمة آمنة ما كانت من الفتن الداخلية
وابعد عن المخاوف الاستبدادية والارتجاعية ، ذلك بأن زعماء جمعية الاتحاد والترقي
المظلومين على زعامتهم ومقاصدهم أو لوزكاه وفهم واستفادوا بمصارعة الحوادث
وتكرار التجارب خبرة وعبرة فلا بد أن يكونوا قد عرفوا خطأهم كله أو بعضه ،
واقله أن يكونوا قد اعتقدوا أن دولة عريقة في الاسلام وارثة لمقام الخلافة الاسلامية ،
لا يمكن أن تدور رحاها على قطب الماسونية ، وإن العناصر العثمانية لا يمكن إدغامها
في العنصر التركي ، وإنما الممكن هو ائتلافها معه باقامة الدستور ، فإن لم يكونوا قد
علموا هذين الأمرين فهم يعلمون أن إخوانهم الذين قاموا بأمر الإصلاح
في حزب الجمعية وأنصارهم والموافقين لرأيهم من الضباط وغيرهم لا يمكن إتهامهم
بمقاومة الدستور ، إذا وكل الأمر إلى جاهد بك فهو لا ينجل من إتهام صادق بك
أبي الدستور ومثل طاهر بك المبعوث بالارتجاع وقد علم القراء أن صادق بك أبو
الدستور ويعلموا أيضاً أن طاهر بك هذا هو صاحب المدد الأول (برنجي نوسرو) في
جمعية الاتحاد والترقي ، ولكن رحي بك ذا الروية والادب العالي والدكتور ناظم بك
ذا الدهاء والتدبير الدقيق وطلعت بك وجاويد بك صاحبي الذكاء والفطنة — هؤلاء
الرؤساء العاملون لا يقدمون على ما يقدم عليه مثل جاهد بك ولا نظن فيهم أنهم
يرضون بتعريض الدولة للخطر لأجل استعادة زعامتهم والاصرار على مقاصدهم ،
فالعاصمة في أمان ، والدستور على أحسن ما كان إن شاء الله تعالى

(تصحيح غلط) في ص ١٣ ص ١١٧ « خمسة » وهو خطأ صوابه « أربعة » وفي ص ١٤
منها « الستة » وصوابه « الخمسة » فليصحح بالقلم